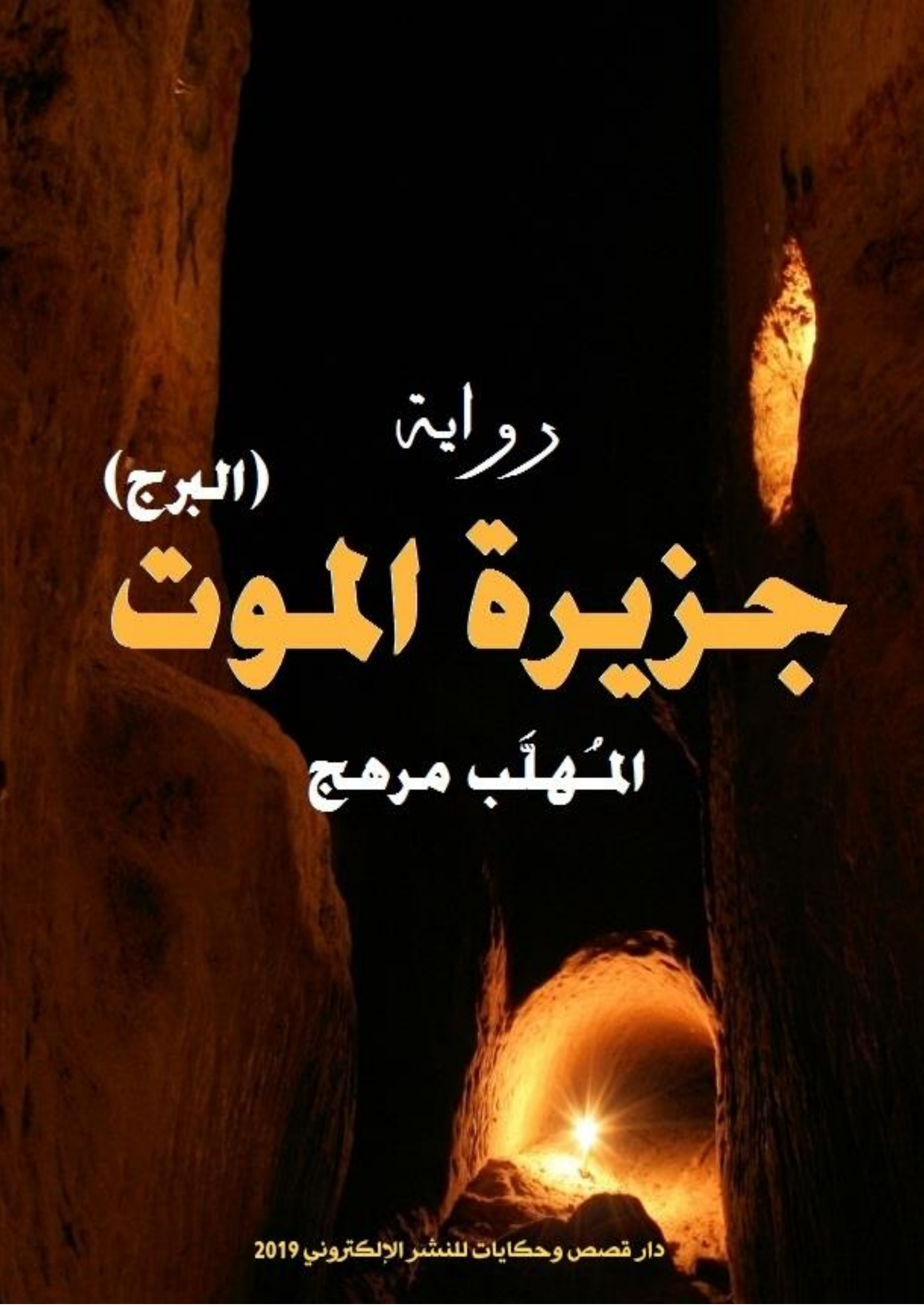
رواية
(البرج)
جزيرة الموت
المُهلَّب مرهج
دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني 2019

البرج

(جزيرة الموت)

رواية

المـُهلَّب مرهِج

العنوان: (البرج) جزيرة الموت

النوع الأدبي: رواية

المؤلف: المهلب مرهج (نبذة)

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: فريق عمل الدار

تصميم الغُلاف: الكاتب بنفسه

سنة النشر: 2019

الحالة: حصريا

رقم الطبعة: 1

رقم الكتاب بالدار: 33

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2019

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

البريد الإلكتروني:

mailto:kesasandhekayatpub@gmail.com

الموقع الصفحة الجروب

1

٦\٦\٢٠١٩

أدركت في شعور لا واع.. بأن الحياة قشة لا أكثر.. ومع هذا الشعور تفاقم إحساسي باللامبالاة من حولي.. مع أني كنت مختلفاً في السابق تماما.. وربما أكون كل حين في شأن كما هم الكثير من البشر حولي.. والأغرب من ذلك أن تقلبات الأفكار في داخلي تأخذني إلى شطآن متعددة.. ومرافئ كثيرة.. بعد أن أبحر في بحار ربما لم يزرها أحد غيري من قبل.

اسمي حكمت، وربما هذا الاسم الذي اختارته أمي، بعد شجار مع أبي دام لأربعة شهور بخصوص هذا الشأن.. هو الاسم الوحيد الذي يليق بي فعلاً. ليس لأجل شيء، ولكن لأجل شيء وحيد وهو أن الإنسان، وخاصة إذا امتلك نزعة من الأنا الشبيهة بالغرور، مثلي تماما، فإنه يرى اسمه الأفضل والأروع، وكذلك كنت أنا بالضبط، كما سأبقى كذلك إلى الأبد.

أجل.. كانوا يقولون عني أنني مغرور، ولكني أسمي ذلك ثقة بالنفس، وحين أقول لهم ذلك كانوا يكشرون في وجهي، ويسخرون، ثم يقولون أنني مغرور مجدداً.

اعلموا جيداً أنني لم أكن في حواري مع أحد إلا مؤدباً.. لطيفاً وظريفاً في تقبل أفكاره.. ولكن.. إن ما كان يزعج الناس فيّ هو أنني بارع في النقاش أكثر منهم.. ولدي قدرة على الإقناع والتعبير عن الرأي بأساليب أقوى من أساليبهم.. وتعطش وشغف أقوى من شغفهم.. لذلك فلم يجدوا حلاً أمامهم يرضي ميلهم إلى إقصاء الآخر سوى اتهامه بالغرور... حتى أن عمي نشر على صفحته على الفيسبوك مقولة "لا يغتر بنفسه إلا ناقص" وذلك بعد حواره معي... ورغم كل أحاديثي الشيقة وأنني قطفت من كل بستان زهرة.. ومن كل ثمرة عصرت كأساً من الإكسير.. فإن عمي لم يرض بحواري.. لأنني تفوقت عليه في الأفكار... فهو في ذلك الموضوع كان يناقش أشياء قديمة متخلفة تتعصب للعادات والتقاليد.. وأما أنا فكنت أخرج عن المألوف وأفكر بعمق وأقول أفكار شغوفة هادفة تجمح بالخيال إلى أبعد حد، ولكنني لا ألومه في ذلك بسبب فهمه المحدود، وأن عقله ليس إلا عقل نملة.

وأعتذر من النملة.

أشعر الآن، وأنا مستلق على الأريكة، وأقرأ في هاتفي الذكي الخبر الذي أدهشني، بالدهشة حقاً..

واتسعت عيناي.. ولمعت كشمس محترقة.. وفغرت فاهي قليلاً، وأنا أقرأ، متحمساً لتنفيذ هذه المغامرة.

إنه خبر أطلقته شركة تصنيع ألعاب أمريكية.. عن إعلانها لاستقبال وفود المشاركين في اللعبة الجديدة التي صنعوها.. والتي أسموها "البرج" وهي لعبة تشبه "ببجي" و "فورتنايت".. ولكن بشكل ساحر جديد تماما.. حيث أن الشركة قالت أن من يلعب اللعبة سيدخل في عالم خيالي ويشعر كأنه حقيقي... أي أن المشارك في اللعبة سيرى كل شيء حوله ويشعر بكل شيء إلى حد ما.. كأنه حقيقة ملموسة...

لقد أعلنوا عن اللعبة منذ خمسة أشهر، وكانوا يختبرون إصدار بيتا منها... والآن أطلقوا اللعبة الأصلية...

وأنا، أخطط للمشاركة في هذه اللعبة، حيث سيجتمع مئة لاعب من أنحاء العالم.. ويحملونهم في طائرة إلى جزيرة معزولة.. وهناك يتقاتلون حتى الموت وينجو أربعة فقط... هؤلاء الأربعة يربح كل منهم مبلغاً يعادل مليون دولار أمريكي... أجل.. كما سمعت.. ويا لحماستي.. مليون دولار أمريكي...

وبهذا المبلغ سأحقق أمنيات حياتي كلها بالتأكيد.. وسأشتري السيارة التي أحب.. وأبني القصر الذي أريد.. وأحقق حلمي في أن أصبح كاتباً وأنشر كتبي كلها..

يبدو أنني لم أقل لك بعد أنني أحب الكتابة، وأنني محترف قليلاً فيها، ولدي عدد من الكتب لا أستطيع نشرها بسبب الحال المادية، ولكنني أدرس حالياً في كلية الفيزياء،

فأنا أحب الفيزياء، وأملك عقلاً فيزيائياً إلى حد ما... ولكن ذكائي إدراكي أكثر منه تحليلي... وهذا مناسب للكاتب أكثر من أن يكون مناسباً لفيزيائي.

ولكن، وعلى أية حال، فإنني لست سعيداً بحالتي في بلدي شأني شأن أي شاب موهوب، ولدي أحلام كبيرة، فإن بلداً مثل سورية لن تكون مناسبة لي وخاصة في ظروف كهذه الظروف التي تمر بها البلاد... فمنذ بدء الأزمة السورية في أواخر ٢٠١١ وحتى ٢٠١٩ أي الآن، لم أحادث صديقاً أو زميلاً وقال لي أنه سعيد، بل كلهم حزانى، ومقهورون، ويشعرون بكمية القسوة والاضطهاد الذي يطوق رقابنا ويعذب قلوبنا.

أواه يا بلدي كيف حدث هذا لك؟ هل خانك الإنسان أم أنك أنت الذي خنته؟ إنني أؤيد نظرية الماغوط بأن وطنه خانه، وسأبرر لكم ذلك بأن الوطن ليس أرضاً وسماء وتراب ومؤسسات وجيش فقط... بل الوطن مكان لا تشعر فيه بالغربة.. مكان يقول لك أنني أقبلك كما أنت.. مكان يرى مواهبك ويرى إيجابياتك ويرى أحلامك فيساعدك على تحقيقها... الوطن ليس مكاناً للسكوت والخنوع بل مكان للتعبير والحرية ومجد الشباب، وكما تعلمون، لا يوجد بلد، في اعتقادي، أهان الشباب مثل بلدي سوريا، فالشباب في الخارج هم أصحاب الخبرة، وأصحاب الطموح، وأصحاب العلم، ومطلوبون في كل مكان، ولا أحد ينبذهم ويقول لهم أنهم ناقصون..

النقص هنا، في بلدي، والضعف هنا، في قلوب الشعب، في ضمائرهم، وفي النفوس الدنيئة المسيطرة على دوائر مؤسساتهم ومعاقل المهربين والمشلحين وتجار السلاح والمخدرات.. وتجار الدين والسياسة...

لقد بكت سوريا.. لقد بكى الوطن، ومات في داخلنا الإنسان منذ زمن بعيد...

أيتها الشمس تعالي من السماء واشعري بإحساسي.. قولي لي هل يستطيع التاريخ تحمل نفسه وأن يتذكر، بأعين مقهورة، كل دمعة إنسان مات ظلماً وقهراً؟! أم أنه يأبى أن يتذكر فيغلق الذاكرة بقفل النسيان... لا لشيء إلا لكي يرتاح!

إن الذكريات.. مثل صفحة مياه.. إذا أوقعنا حجرة صغيرة فيها تبعثرت من حولها الأمواج.. متيحة الفرص لكل الآلام والعذابات التي قسمت ظهورنا.. بالوجود...

ولكن، سأخطف الشمس من السماء وأحبسها في صدري مبتهجاً.. ولن أخبر أحداً!

كم أحب هذا البخار الذي يصدر من فنجان القهوة وأنا أشربه! كما أنني متحمس للغاية هذا اليوم، ويبدو أن السيراتونين عالي جداً هذه الفترة في جسدي.. إذن فسعادتي ستصل إلى السماء..

سأتصل بسومر وأخبره عن الإعلان الذي أطلقته الشركة، وإذا لم يوافق على الذهاب معي فسألقنه درساً.

2

كان سومر يلعب تمرين العقلة في النادي، وكانت عضلاته تلمع ببريق أخاذ آسر لقلوب الفتيات والرجال على حد السواء: لم يكن سومر يشبه حكمت في الجسد إطلاقاً، بل مختلفان تمام الاختلاف.. فكان حكمت نحيلاً، وكان سومر عريض المنكبين. ولكن على أية حال، فقد كان حكمت يحمل وجهاً أجمل من وجه سومر، وشعراً ناعم أسود طويل قليلاً، مسرح بعناية إلى اليسار، وكان رأس حكمت حليقاً عند الأذنين أي الجزء الأسفل من رأسه، أما الجزء الأعلى فكان كما قلنا، بشعر طويل أسود ناعم، وكانت تسريحة مناسبة لوجهه الجميل الأبيض الناصع.

أما سومر، فكان ذو وجه حنطي جميل لكنه غليظ الملامح، إلى حد ما، عكس وجه حكمت الذي يوحي بالظرافة واللطف. وجه سومر كان مستطيلاً أما وجه حكمت فمدور. كان سومر ذو شعر قصير، وخفيف للغاية، إلى درجة أنه يحتاج القص بين الحين والآخر ولا يمكن له أن يطوله أبداً.. إلا إذا استخدم واكس من نوع قوي وغالي الثمن. على أية حال، لم يكن سومر يفضل الشعر الطويل.

صحيح أن حكمت كان ذو جسد نحيل إلى حد ما، لكنه كان قوياً وببعض العضلات، ومتناسق جميل. لكن سومر يبقى أكثر منه جمالاً من ناحية العضلات البارزة، وكانا بنفس الطول، لكن سومر أعرض، وخاصة في عضلات الصدر والأفخاذ. كان كل

منهما يملك طولاً فاخراً: كانا صديقين منذ الصف الأول الابتدائي، وهما في نفس المدينة: مدينة بانياس المجاورة للاذقية.. عروس الساحل السوري.

في هذه اللحظة، وبينما سومر يلعب في العدة ١٢ من تمرين العقلة، سمع صوت رنين هاتفه الذكي الذي بدا كصوت إنذار، فلم يكن سومر قد وضع أغنية كرنة لهاتفه بعد، وكان يستخدم رنة الهاتف الأصلية، فقد اشتراه جديداً منذ يومين.

فترك العقلة وقفز إلى الطاولة والتقط الهاتف الذكي، ووضعه على أذنه وهو يبتسم ابتسامة دهاء، منتظراً سماع صوت حكمت.

قال حكمت، بصوت ناعم، وماكر:

"لقد أعلنوا عن استقبال المشاركين يا سومر..."

فابتسم سومر وهو مغمض العينين وقال:

"أعرف.. مممم"

ولم يخلو هذا الرد من مكر أيضاً، واستطاع حكمت الشعور بمكر صديقه من خلال نبرة الصوت. فضحك ضحكة قصيرة لعوبة، وقال:

"أنت داهية.. كنت أعرف أنك ستنتظر مثلي الخبر.. منذ أن أخبرتك بأمر اللعبة..."

فأتاه صوت سومر:

"هذا صحيح.. وماذا في ذلك؟ إنني مثلك أحب المغامرة.. وليست لدي أية مشكلة في الذهاب إلى هناك والمشاركة.. سنجرب.. بقينا كل الوقت نلعب ببجي وفورتنايت.. فلماذا لا نجرب لعبهما على الحقيقة...."

ابتسم حكمت، وقال:

"إنها ليست حقيقة... ليس إلى هذه الدرجة... الأصح: تشعر بها أنها حقيقة"

سومر:

"أعرف.. أعرف يا صديقي.. ولكن بما أنك تشعر بأنها حقيقة فهذا يعني أنها حقيقة على أية حال.. هل تصدق.. هناك ١٢ شخصية مختلفة لتختارها.. كل منها له مزاياه وقدراته.. وفي الجزيرة سترى أشياء خرافية لم ترها في أي مكان.. هناك عفاريت وجن وتنانين وطيور عنقاء.. وهناك أحصنة ذات قرون.. وهناك أرانب شرسة تلاحق البشر وتمتص دماءهم.. وهناك سحرة ومشعوذون... وألف شيء وشيء..."

كان حكمت مصدوماً وهو يسمع، ففغر فاه، بشعور عارم بالحماس، وقال بصوت أكثر حماساً:

"حقاً... واو.. واو يا صديقي... أين رأيت ذلك؟"

سومر، بصوت ينم عن شعوره بالفخر:

"في فديو أنزلته الشركة على اليوتيوب.. دعاية مدتها ثلاث دقائق..."

حكمت:

"رأيت كل ذلك في ثلاث دقائق!"

شبك سومر ذراعيه، وقال:

"أجل... سنستمتع جداً... لا تنسى رسم الاشتراك.. ستدفع مئتي دولار على الاشتراك..."

انزعج حكمت قليلاً، ولكنه هدأ بعد لحظات، وقال:

"حسناً.. إنني أملك في حصالتي مبلغ فوق المئة ألف ليرة.. مؤسف أنني سأدفع مبلغاً كهذا جمعته بتعب سنوات على لعبة... ولكنها تجربة فريدة... بالتأكيد تستحق دفع هذا المبلغ..."

ضحك سومر، وقال:

"كلنا في الحال نفسه يا حكمت.. فأنا سأدفع أيضاً ما فوقي وما تحتي.. وقد تدينت من بعض الرفاق أيضاً... اهئ.. اهئ..."

وصار يضحك على نفسه. فاستقبله حكمت بضحك طويل أيضاً.

كان صوت حكمت كما قلنا ناعماً وظريفاً... وتشعر بحماسة كبيرة في كلامه... أما سومر.. فهو ذو صوت بارد، رغم أنه يشترك مع حكمت في كونه صوت حماسي، يدل على انفعال الشخص الذي يتكلم. أما كطبقة صوتية، فإن صوت حكمت كان أقوى، وصوت سومر كان باهتاً، ولكنه مثير وممتع، على طريقته الباردة.

بعد لحظة صمت لا تتعدى الثواني، قال حكمت:

"ماذا تفعل الآن؟ أين أنت؟"

قال سومر وهو ينظر هنا وهناك مبقياً تركيزه على الهاتف:

"إنني في النادي.."

حكمت:

"تعال لنشرب شاي.. سنجلس في غرفتي ونناقش الخطة وماذا سنفعل وكيف سنعمل سوية.. هناك الكثير من الأمور..."

ابتسم سومر، وقال:

"في العادة لا أعطل تماريني.. ولكن من أجلك فقط سوف آتي في الحال... انتظرني نصف ساعة.. بالكثير.. وأكون عندك"

ابتسم حكمت وأغلق الخط، دون أن يقول شيئاً.

يمكننا القول أن صداقة حكمت وسومر، كانت صداقة مثالية، إذ لا يمكنك أن ترى في بانياس كلها، صديقان متوافقان للغاية، مخلصان لبعضهما أنبل الإخلاص، مثل حكمت وسومر. كان حكمت يرى في سومر أشياء تنقصه، مثل القوة البدنية، والدهاء الدبلوماسي، الموجودين في سومر، أما سومر فكان يرى في حكمت أيضاً ما هو غير موجود عنده، مثل المعرفة والثقافة والجموح بالخيال إلى درجات قصوى، فقد كان حكمت ممتعاً للغاية وصاحب أفكار جديدة، وتكسر الروتين، وفي كل مرة يجلس فيها مع سومر أو يصطحبه إلى مكان كان يمتعه إلى آخر درجة بأحاديث سحرية، وألوان من الكلام عن الطرب والفن والموسيقى والآداب والمعارف، كأنه يبحر في أعماق المحيطات، وكان طليق اللسان بارعاً في الفراسة، ولغة الجسد: فقد كان حكمت كخطيب، وفنان، أو كداهية من دواهي العرب.

سومر كان يملك نفس الخصال ولكن بشكل أقل ظهوراً، وأخفت لوناً، لذلك فقد كان يستقي وينهل من خبرات حكمت في هذه المجالات السابق ذكرها، ويسقيه من خبراته في شؤون الحياة وخاصة العلاقات مع الناس والمحيط، وكيف يتصرف بدبلوماسية في حياته متجنباً العراقيل، وينجي نفسه من المواقف الحرجة، فحكمت يغضب بسرعة، وقد يخسر أشخاصاً بسبب ذلك، أو يتعب نفسه، ويضر في ذلك عقله وقلبه وروحه، فهو كان بريء الطبع، طيباً للغاية، ولا يقدر على المجاملة والنفاق

وفنون الكذب، عكس سومر الذي يتصف بالقدرة الكبيرة على الكذب والمراوغة، إذ يبدو كمحامي، أو كنصاب دولي، وهذه الأشياء بكل تأكيد مهمة في التعامل مع الحياة الاجتماعية، وكان حكمت يستفيد من سومر في ذلك.

3

تصاعدت الأبخرة من فنجاني الشاي الموضوعين على طاولة الحاسوب، وخلف الطاولة على كرسيين بيضاويين جلس كل من حكمت وسومر، مسروران، بهذه اللعبة الجديدة، متحمسان، بأعين حالمة، وشغوفة، متطلعة للمستقبل.

كان سومر يجلس ويضع ساقاً فوق ساق، لربما يتباهى بعضلات فخذيه وساقيه أمام حكمت. لم يكن سومر يرتدي إلا شورت أسود قصير، وبلوزة بيضاء نصف كم، عليها رسم لعقرب على الظهر. أما حكمت فيرتدي بجامة النوم، فقد استيقظ منذ الصباح الباكر ولم يرتدي شيئاً إطلاقاً، وبقي ببجامة النوم الزرقاء التي اشترتها له أمه منذ سنتين. وبقي يتصفح النت ويقرأ في رواية رومنسية حتى قرأ الإعلان الخاص بشركة الألعاب، وعندها، اشتعل حماساً، واتصل بسومر وها هما جالسان يتناقشان ويخططان.

قال حكمت، بصوت يشتعل فيه الحماس كشعلة من النيران:

"لا أصدق متى أدخل أنا وأنت في اللعبة ونهبط من المروحية إلى الجزيرة... ونقاتل وحدنا.. ونهزم أي مشترك.."

ابتسم سومر وقال مغمض العينين:

"لا تنسى أن الناجين أربعة.. وليس اثنان فقط"

حكمت:

"سنتعرف على أصدقاء إذن.. وهذا أمر حماسي ومثير.. مثير للغاية.. بالتأكيد سنكون أربعة من الفطاحل الأقوياء"

ويبتسم حكمت، منهياً هذه الجملة بخبث.

يفتح سومر عيناً واحدة وينظر من خلالها إلى حكمت، ويبتسم ضاحكاً، بدهاء استراتيجي، ويقول بعد أن يفتح عينيه الاثنتين:

"علينا أن ندرك أننا أمام لعبة فيها كسب وربح لا يفوّت.. إنها مليون دولار أمريكي.. تغنيني وتغنيك إلى يوم الدين.. وسأحقق أحلامي كلها وأشتري الهاتف الذكي الأغلى في العالم..."

حكمت:

"قبل ذلك.. دعنا نخوض في تفاصيل اللعبة.. هل تعرف عنها شيء آخر غير الذي أخبرتني به؟"

سومر:

"لا يا صديقي.. لا شيء سوى ما قلت لك"

يعدل حكمت من جلسته، وهو يفرك ذقنه، ويقول:

"علينا أن نأخذ بعيننا كل الاحتمالات: بدءاً من تحليل كل حركة نقوم بها منذ وصولنا الجزيرة.. بل قبل.. حتى في الطائرة علينا أن نقرأ وجوه المشتركين.. بفراسة مطولة، حتى نعرف شخصياتهم، ونحللها إذا استطعنا.. وحين ننزل إلى الجزيرة علينا اختيار ما يناسبنا والتفكير ألف مرة قبل الإقدام على أي شيء... احذر يا سومر.. احذر.. وأنا سأحذر.. ولن أفعل شيئاً إلا وهو مدروس..."

سومر:

"صحيح يا صديقي.. لقد قلت الصواب"

وصمت لوهلة، ثم تابع يستطرد:

"سوف يكون هناك خوادم بعدد لا يحصى.. بحيث تتسع اللعبة لكل المشتركين.. أي أن كل مئة لاعب في جزيرة مخصصة أي في خادم مخصص.. وكل أربعة رابحين في الدفعة الواحدة سيحصلون على الجائزة... إنه شيء مثل الخيال... مثل الكذب تماما... لا أصدق متى أرى الرسومات كأنها حقيقة"

ابتسم حكمت وقال:

"وأنا أيضاً"

كان والد سومر يعمل في مصفاة بانياس كمدير للاستيراد والتصدير، وبالنسبة لشخص مثله، فلم يكن يحظى حكمت بالكثير من الوقت معه.. وكان في أغلب الأوقات يبقى مع أمه في البيت فهو الابن الوحيد لهذه العائلة الكريمة، فكان أبوه طارق يبقى في العمل أغلب الوقت، وأمه أمل تعنى بشغل البيت وتثرثر معه كثرثرة أي أم تملك عاطفة جياشة تجاه ابنها الوحيد، وتحبه وترعاه كأنه خلودها ومجدها الأبدي. أما والد حكمت (حنا) فكان يعمل موظفاً في جامعة تشرين، من التاسعة صباحاً وحتى الرابعة ظهراً، كمحاسب إداري، وأما والدته (هناء) فكانت تعمل مدرسة علوم في الإعدادية والثانوية في المدينة، ولا تعود حتى الواحدة ظهراً، مع ثلاثة أيام عطلة.

حكمت كانت لديه أخت ظريفة وحبابة وجميلة، وذكية أيضاً، اسمها البتول، ولكنها ماتت بسرطان في الدم منذ أربعة سنوات، وكانت أكبر من حكمت، وخريجة هندسة اتصالات، وحين ماتت تركت أثراً في قلب العائلة وفي قلب أخيها، كجرح عميق لا يندمل. فبقي بعد موتها وحيداً في المنزل، بلا أخوة، ولكن القدر، والرب، لم يتركا حكمت بلا صديق، فسومر أعز أصدقائه، وربما كان هدية إلهية مباركة منذ البداية.

والآن، حدثت المفاجأة.. إذ رأى حكمت على شاشة الحاسوب أن اليوتيوب قام بتحديث فديو جديد عن شركة الألعاب، هذا لأن حكمت فعل زر الجرس منذ شهرين لهذه الصفحة، مما يؤكد وصول التحديثات بشكل دائم..

فصرخ حكمت:

"يا إلهي.. فديو جديد يا سومر.. فديو جديد..."

فوجه سومر رأسه إلى الحاسوب مدهوشاً... وشغل حكمت الفيديو..

***

ظهرت على الشاشة فتاة جميلة ترتدي زي أرنب، ولها أذنان طويلتان، وهي تقول بحماس:

"لعبة البرج.. الآن.. النسخة العربية من لعبة البرج.. جزيرة فانتازية سحرية مليئة بالغموض.. لآلئ وأحجار كريمة وطيور خرافية.. جبال وسهول وهضاب بألوان ورسومات تحاكي الواقع والحقيقة.. تنانين وديناصورات وعفاريت وجن وشخصيات رهيبة.. كل هذا في لعبة البرج...."

وأثناء كلامها، كان الفيديو يعرض صوراً وإيضاحات وفيديوهات من داخل اللعبة تعرض رسومها الساحرة، وقد لمعت عيون حكمت وسومر، متأملة، هذا الإعجاز السحري الذي لا ينضب، وهذا الدهاء البشري المحنك، والسحر الغامض الذي ينتظر من يكتشفه، وبشغف عارم، كان عقل حكمت وعقل سومر مأخوذاً بالفيديو..."

واستمرت الفتاة ذات زي الأرنب تتحدث:

"اشترك الآن عبر الموقع العربي الرسمي للعبة.. الذي وضعناه أسفل صندوق الوصف.. ولا تنسى رسم الاشتراك ٢٠٠ دولار أمريكي.. معاً إلى عالم خيالي سحري ممتع... وجائزة قدرها مليون دولار أمريكي للرابحين الأربعة في كل دورة لعب... شركة مكروغيم للألعاب الالكترونية"

وقفز حكمت وسومر من الفرحة عن الكراسي، وهما يضربان أيديهما ببعضها، كأنهما يحققان، بنشوة طفولية، انتصاراً مسبق.

صرخ حكمت:

"هيا لنسجل يا صديقي..."

فصرخ سومر:

"هيا... هيا..."

وجلسا مجدداً، وأخذ حكمت يضرب على لوحة المفاتيح مدخلاً عنوان موقع شركة مكروغيم.. وحين دخل إليه كان الموقع عربياً مئة في المئة.. مما يتيح لهما فهم كل الخطوات في التسجيل... فضغط حكمت على زر خانة التسجيل.. وظهرت استمارة

كبيرة... فيها اسم المشترك الثلاثي والعنوان ورقم الهاتف والرقم الوطني للهوية والعمل والدراسة، وهناك عنوان بريدي لإرسال رسم الاشتراك إليه.

وبحماس لا تخمد نيرانه، أخذ الشابان الطموحان، يسجلان في اللعبة.

4

١٥\٦\٢٠١٩

بشعور يشبه السحر، ستهبط من مروحية محلقة فوق جزيرة الموت.. والمظلة ستأخذك إلى المكان الذي تريد على الخريطة بنظام توجيه الموقع الالكتروني الذكي.. ستطير وتحلق في السماء وأنت ترى هذه المشاهد الطبيعية أمامك.. كأنك في عالم آخر تماما.. لكأنك سقطت في عالم مواز.. أو كأنك في العالم السفلي.. مدموجاً بعالم آخر سحري.. سترى الغموض بأم عينيك دون أن تصدق أن هذا حقيقة.. ستبكي وستشعر بالألم كما ستشعر بالسعادة إذا حدث وانتصرت.. كلما رأيت وحشاً أو مشتركاً يسعى إلى قتلك سيرتفع الأدرينالين في جسمك إلى حد الهذيان.. وأنت توجه سلاحك نحوه لكي تقتله.. وينتهي الأمر إما بقتلك أو بقتله، أمران لا ثالث لهما...

كل هذه المشاعر والتخيلات، التي تكون بهيجة تارة، ومقلقة جداً تارة أخرى.. كانت تدور في عقليّ حكمت وسومر، اللذان هما الآن بين المشتركين.. ويجلسان على مقعدين في الصف الأمامي.. للدفعة رقم واحد وخمسين من المشتركين العرب..

كانت الصالة كبيرة للغاية، ذات مقاعد مدرجة بيضاء تأخذ شكل سرطانات بحر، وأما السبورة فكانت على شكل محارة، وكأنها خطفت من البحر، ونُصبت لوحاً للعرض.

وهناك مئة مشترك كل منهم على مقعد، والثرثرة تطغى على روح المكان، ومشاعر من القلق والدهشة والحماس العارم.

قال حكمت لسومر، بحماس مبالغ فيه:

"إنني قلق.. قلق يا صديقي.. وهذا ما يخيفني... فإذا قلقت فقد أسقط منذ البداية"

فقال سومر، الذي بدا مطمئن البال:

"اطمئن يا صديقي... أنا معك.. لا تخف ولا تقلق.. هذا أول طريق للنجاح"

وكانت هذه الكلمات كفيلة بدب روح الاطمئنان في حكمت، وقد تم ذلك بالفعل، فلم يكن أحد قادر على تشجيع حكمت معنوياً مثل سومر، بصوته البارد، والذي يقع على قلب حكمت كجمرة مشتعلة تشعل نار الثقة والأمان، وترفع حكمت إلى القمة.

هذا لأن الأمر سهل: كان سومر منذ أن تعرف على حكمت، أي منذ الصف الأول الابتدائي، يقف إلى جانبه في المواقف الحرجة، ويدعمه بين الجميع، وإذا حدثت مشاجرة أو مشكلة كان يضرب الناس من أجله، وكان يأخذ له حقه إذا لم يستطع حكمت ذلك، ومن عادة حكمت أن يتورط أو تأخذه الظروف إلى ورطات ومشاكل عديدة في الحياة لأنه شخص بريء الطبع.. حنون وطيب القلب.. صافي النوايا.. والأشخاص صادقوا النوايا هم أكثر من يتعرضون للتنمر والعدائية والمواقف الحساسة

في الحياة.. ويقول علم النفس.. أن لا شيء يقوي الثقة بالنفس ويعطي الشعور بالأمان مثل وجود صديق إلى جانبك.. مخلص وفي يقف إلى جانبك دوماً... وكذلك كان سومر.

وبهذا الشكل، فإن من الطبيعي، أنه حين يقول سومر أي كلمة مشجعة لحكمت، فإن الأخير سيشعر بالأمان، وسيشعر بالقوة، وأنه يداً بيد، مع سومر، سيحققان ما يريدان الوصول إليه.

شاهدت أعين المشتركين شخصان يدخلان من باب الصالة إلى داخلها، الأول رجل ذو كرش كبيرة، وبدلة رسمية بيضاء، ويضع نظارة زرقاء، وبصراحة كان شكله مرعباً ويبدو مثل مجرم عالمي، فتلك التجاعيد العجيبة على وجهه توحي بأنه همجي، وتلك النظرة من عينيه تدل على احتقاره للناس وأنه يرى نفسه فوق الجميع... وكان شعره أشقر وسحنته صفراء للغاية..

أما الثانية فكانت تبدو دكتورة، وكانت قصيرة القامة هزيلة الجسد للغاية، وأكثر رعباً في ملامح وجهها من الرجل ذو الكرش. كانت نحيلة الوجه للغاية، شاحبة المحيا، كريهة الصورة، مقيتة الملامح، إذ يخيل إلى من يراها وكأنها جنية أو عفريتة، أو كأنها ساحرة تقدم القرابين للشياطين مقابل أن يحققوا لها أعمال شريرة.

وكانت ترتدي مريول أبيض وكعب عال أحمر.

وقف هذان الشخصان المخيفان على المنصة، وأمام كل منهما مكروفون، وصارا يحدقان في أوجه المشتركين بطريقة مستفزة للغاية: فكانا ينظران إلى أعين المشتركين بحدة وقسوة، ونوايا لا تبدو صافية على الإطلاق، حتى أن الصمت خيم على الأجواء تماما بعد ثرثرة، والجميع غسل دماغه تماما بهيبة هذين الشخصين، أو بالأحرى جو الرعب والحرب النفسية الذي يفرضانه بحضورهما، مع العلم أنهما لم يتكلما بعد وبثا الذعر في قلوب المشتركين.. فكيف إذا تكلما؟!

ودخل من الباب أيضاً.. جمع غفير من الأشخاص يرتدون البدلات الرسمية السوداء والنظارات السود ويحملون السلاح، وطوقوا الصالة تماما.. وبدا هنا.. في هذه اللحظات.. خوف مطلق على سيماه وجوه المشتركين...

لماذا كل هذا التشدد؟ ولم يرعبوننا بهذا الشكل قبل شيء هو مجرد لعبة؟ هكذا يتساءل المشتركون.

ونظر حكمت في وجه سومر، كأنه يطلب منه التوضيح، لكن الآخر بلع ريقه، ونظر إلى الرجل والمرأة المخيفين، وكذلك جميع المشتركين.. منتظرين أن ينطق أحدهما...

تحدث الرجل ذو الكرش الكبيرة:

"أنا ستيف مانسون.. صاحب شركة مكروغيم للألعاب الالكترونية.. وأنا هنا شخصياً للقائكم يا غوالي..."

كانت كلماته رغم جمالها كمعنى، مخيفة كنبرة للغاية، وكأنه يتلاعب بأعصاب المشتركين.

وقالت المرأة ذات المريول الأبيض:

"وأنا.. ستيلا ماري.. عالمة أبراج وفلك.. ومصممة ألعاب الكترونية.. وجئت هنا لأطمئن على قلوبكم يا أحبتي قبل أن تدخلوا هذه اللعبة التي قد لا تخرجون منها أحياء..."

وكانت كلماتها، أشد وقعاً من كلمات ستيف. بدت ستيلا هذه، مثل عرافة مجنونة، بل مثل مشعوذة منذ البداية، والآن تأكد ذلك للجميع...

وصار المشتركون يفكرون في ما قاله هذين الشخصين. فقطع ستيف التفكير وقال:

"أجل.. كما سمعتم.. قد لا تعودون منها أحياء.. الحقيقة التي لم تعلموها إلا الآن.. أنكم وقعتم ضحية تجربتي المشتركة مع الآنسة ستيلا.. هذه اللعبة في الحقيقة ليست لعبة الكترونية.. بل لعبة واقعية تماما.. أي أنكم ستنزلون فعلاً في جزيرة الموت

الحقيقية.. على أرض الواقع الحقيقي... وستتقاتلون بما يوجد من سلاح هناك وسيقتل بعضكم الآخر حتماً.. وستكون هناك مجازر عدة.. هذه هي الحقيقة.."

أجل.. لقد قالها وهو يبتسم، مثل وغد، وقد تبعته ستيلا بابتسامة ظهرت من خلالها أسنانها الصفراء. وأما المشتركون فقد كانت حالتهم حالة... وكل منهم امتقع وجهه بالاحمرار ثم الاصفرار.. ومنهم من أغمي عليه... وخاصة من الفتيات.. وأما حكمت وسومر فنظرا إلى بعضهما في إشفاق وحسرة... وصدر صوت انزعاج شديد وتذمر ودهشة من المشتركين.. بدا مثل صوت أمواج مستعرة...

فصرخ ستيف، صرخة قوية، غليظة، جعلت الجميع يسكت، وقال:

"لا يمكنكم التراجع لأن هذا غير مسموح وأنتم سجناء عندنا.. وعليكم التنفيذ.. وإلا فسآمر بقتل كل شخص يعترض على الدخول في هذه اللعبة... بل في معركة الموت الرائعة

هذه..."

وقف أحد المشتركين فجأة وصرخ في وجه ستيف:

"أيها الحقير الوغد... أيها السافل.. سترى كيف سيعاقبونك.. في أمريكا وفي العالم.. لن تنجو وستعدم مثل خنزير على هذا الفعل..."

وقبل أن يتم جملته، أتته رصاصة من مسدس وجه نحوه من قبل ستيف نفسه... فقد أخرج ستيف المسدس وقتل به المشترك قبل أن يكمل حديثه... وسقط المشترك قتيلاً مضرجاً بدمائه القرمزية، بين صرخات المشتركين وبكائهم.. وخوفهم وعويلهم...

وأخذ ستيف يطلق في الجو النيران، فسكت الجميع، مكبوتين مقهورين، غير قادرين إلا على تقبل حقيقة حظهم العاثر الذي أوقعهم بين مجنونين يملكان طموحات شاذة وحقيرة...

وشعر حكمت بالإحباط الشديد، وكذلك سومر، اللذان كانا صامتين تماما... ليس لأنهما لم يتأثرا.. بل لأن التأثر زاد عن حده في داخلهما أكثر من اللازم...

وتذكر، حكمت، عند هذه اللحظات المؤلمة، مقولة والده التي يكررها له دوماً:

"الحياة قاسية جداً... لا تتعود على أن الحق سينتصر.. أو أن السلام سيكون موجوداً.. فإن الكون يسير وفق طاقات عجيبة.. وكل ما حولك قاس جداً وغير عادل..."

وأدرك حكمت الآن، مدى بلاغة هذه المقولة .

وأما سومر، فأخذ يلعن حظه العاثر في قرارة نفسه، متخيلاً صورة أمه وأبيه، وهو يقول في نفسه "هل سأعود إليكما حياً؟"

وانتشر القلق والرعب الشديد في الأجواء مثل النار في الهشيم.

5

(قبل ساعة واحدة من دخول المشتركين إلى الصالة):

حوض السمك الذي يدور دورة كاملة حول جدران الصالون الأربعة، كان ذو أطراف من الذهب الخالص، فيشعر الناظر إلى أسماك الشبوط وهي تثب عبر الماء، بأنه ينظر إلى طائرات على شكل أشباح، كأنها تحوم حول الغرفة وتأكل روح الرائي، بل لكأنها تنتقم من الماء، بهذه التموجات والانسيابات العفوية التي تقوم بها أجسامها..

فسمك الشبوط ذو اللون الأسود المبرقع بالأبيض، كأحجار كريمة، وسمك الشبوط الأحمر المخطط بالأبيض عند الذيل، والمبرقع بالأسود عند الرأس، يلمع كأنه غرانيت أو كريستال أو عقيق.

هذه الأسماك: هي المفضلة لدى ستيف مانسون، الذي كان، جالساً، هذه الساعة، على أريكة حمراء مخملية، مخططة بالأسود، وأمامه طاولة عليها لتر من الويسكي، وكأس نصفها معبأ، وكان ستيف ينظر إلى الأسماك بأعين يكللها اللمعان والشغف الشاذ.

لم تكن ابتساماته مرضية لأي شخص يراه، فسيرى الرائي حين ينظر إليه أنه رجل شاذ جداً، وغريب الطبع.

الأمور التي لم نتحدث عنها حتى الآن، والأكثر غرابة وشذوذاً: هي تلك الصور المعلقة على الحيطان هنا وهناك، المليئة بالأجساد العارية، ورجال يقذفون على بعضهم البعض سوائلهم المنوية، وأثداء نساء كبيرة جداً ومكبلة بالسلاسل، وألسن كلاب يسيل منها اللعاب، وفكوك ديناصورات وتماسيح مفتوحة على آخرها ويبرز منها اللسان جامحاً متعطشاً للحوم، وجماجم عليها دم وعظام مكسورة، ومجموعة من البشر يظهر شكلهم وكأنهم يصرخون من الألم، بل إنهم حتماً، يصرخون من الألم. وفراشات سوداء تزين عواميد الصالون وتتدلى من السقف كأنها أغصان كرمة، وكانت فراشات أشبه بالخفافيش منها إلى الفراشات...

كان ستيف قد خصص هذه الغرفة بما فيها لشغفه، لعالمه، الذي يرى أنه عالم مثالي، يحقق فيه نشوته وسعادته المطلقة، مستلذاً، مبتسماً بين الحين والآخر، ابتسامات التماسيح... ضاحكاً بصوت جامح إلى أبعد الحدود.

وكانت، ستيلا ماري، جالسة على كرسي قبالته، وهي تشرب من كأس الفودكا الخاص بها، وتطلق أعينها نظرات يشوبها الاستغراب والقلق على المكان حولها، ويرمقها ستيف بنظرات ودية.

قالت ستيلا:

"هل يمكنني أن أعرف لماذا قررت أن تخسر كل سمعة الشركة.. فقط من أجل هذا؟"

فابتسم، وهو يلحس بشفاهه الخمرية كأس الويسكي، وقال، بصوت يغرق في الشذوذ، وهو ينظر إلى الأعلى مغمض العينين:

"إنني.. أفرّط بكل ما لدي.. وأرهن حياتي.. وأبيع نفسي.. لأرى مشهد إنسان يقتل إنساناً آخر.. أو يعذب إنساناً آخر.. سواء جسدياً أم نفسياً.. اهئ.. اهئ.. إنني أتوق لرؤية مشاهد الدماء ومشاهد أناس ينكلون ببعضهم ويبكّون بعضهم البعض ويقهرون بعضهم البعض.. أشعر بنشوة مطلقة حين أرى لسان رجل يشتهي ويشتهي ويقتل حتى من أجل الشهوة.. إنني أموت لأرى كم هو الإنسان رائع بوحشيته هذه..."

ابتسمت ستيلا، ابتسامة غير راضية، وقالت:

"حقاً أنت أغرب رجل رأيته في حياتي.. بهذه اللعبة ستخسر الشركة إلى الأبد.. وقد خسرت أموالاً طائلة حتى الآن.. فقط من أجل سعادتك الخاصة.."

فينظر إليها مبتسماً كأنه فرح بكلامها، ويقول:

"أجل.. تماما... إنها السعادة.. لا.. بل النشوة.. النشوة العظيمة"

ثم يضحك ضحكات على شكل رشقات متتالية، تبدو وكأنها عذابات ثعبان يأن.

وتقول ستيلا في نفسها:

"إنه مريض نفسي"

ولكنها، تقول في وجهه بابتسامة نفاق:

"إنك شخص رائع يا صديقي.. لقد حققنا إنجازاً رائعاً بهذه اللعبة.. وستستلذ برؤية الناس وهم يقتلون بعضهم على الشاشات وأنت جالس هنا.. تقرمش الفوشار.. وتشرب الويسكي.. وتتعاطى الهيروين والكوكايين ومخدرات النشوة الجنسية .. فعلاً أنت رجل من بين الرجال.. عزيزي.. ما يهمني الآن هو أنني سأحقق غايتي وأعرف المزيد عن الأبراج وعن شخصيات الإنسان المختلفة والمثيرة والمتعددة.. وبهذه الشراكة نكون حققنا غايتينا.. أنا أكسب العلم والمعرفة وأنت تكسب شهوتك ونشوتك"

وكانت الساعة تدق الثانية عشرة ليلاً، والجو في الخارج بارد وماطر، ولكن جهاز التكييف المركزي في قصر ستيف، الذي يقع على جبل من سلسلة جبال الهيمالايا، لم يسمح لستيف أو لستيلا بالشعور بالبرد إطلاقاً... ولكن النافذة الزجاجية الشفافة الكبيرة، بل الضخمة، التي تحيط الشرفة في الصالون، جعلتهما يستلذان وهما يراقبان الثلوج ويسمعان صوت العاصفة.

***

(بعد أن اجتمع المشتركين في الصالة وتم قتل مشترك من قبل ستيف برصاصة مسدس من نوع بريتا):

إن أجواء الرعب الشديد والقلق القهري كانت تسيطر على الصالة من أول مقعد وحتى آخر مقعد، قاتلة الحماس في قلوب المشتركين، دابة الخوف في أنفاسهم، وقد أغمي على خمسة مشتركين واحد منهم فتى في الخامسة عشرة يضع قبعة مقلوبة على رأسه، وواحد كان رجلاً أربعينياً ذا كرش كبير، وأما الثالثة فكانت صبية في الخامسة والعشرين شعرها أشقر، والرابعة صبية أقل منها عمراً يشبه وجهها وجه البطة، والخامسة امرأة في الأربعين، وكانت الأخيرة قد تعرقت بشكل ملحوظ قبل أن يغمى عليها تماما.

حبس حكمت أنفاسه، وبلع سومر ريقه، وهما صامتان تماما.

قال ستيف بعد ضحكة قصيرة:

"كما رأيتم.. الخوف حين يدب في الشرايين فإنه يودي إلى الموت.. لقد أجروا دراسات عدة ورأوا أن الخوف يقتل الإنسان أكثر من الجوع.. بل إن الجوع نفسه لا يقتل في كثير من الأحيان.. أما الخوف الشديد فهو قاتل لا ريب... وأعتقد أن هؤلاء الذين أغمي عليهم لن ينجو منهم أحد"

وكان ستيف قد شعر بنشوة عارمة، وكانت هذه اللحظة وهو يرى الخوف في قلوب الناس يأكلهم ويقتلهم، من أروع لحظات حياته.

قالت ستيلا، ولأول مرة تهدئ من أعصاب المشتركين:

"هناك خياران في حالات اليأس الشديد: إما أن تكونوا أقوياء حتى آخر لحظة، أو أن تسقطوا في الحال"

وفكر حكمت في هذه المقولة، وهو ينظر إلى سومر بعين الحكمة، كأنه يخبره بأن هذه المرأة الحقيرة، رغم أنها نذلة، فقد تكلمت أهم ما يمكن أن يفيدهم على الإطلاق في ظرف خطير كهذا: فعلاً إما النصر أو الاستسلام، إما الحياة أو الموت: إنك محصور بين كفتي ميزان كل منهما مختلفة في الكتلة تماما عن الأخرى، فواحدة ثقيلة تودي بك إلى الهاوية، والأخرى خفيفة ترفعك إلى القمة، ولا يوجد أي توازن أو تعادل.

وقد استطاع سومر، وهو ينظر إلى عيني حكمت، أن يفهم ما يريد حكمت قوله من خلال عينيه، فرمقه بنظرة تدل على استيعابه.

أكمل ستيف، بصوت خشن غليظ:

"والآن.. سوف تصعدون في المروحية التي ستقلكم إلى الجزيرة.. وبمجرد النزول تذكروا نصيحة ستيلا التي قالتها لكم.. لو أنني أنا ما كنت لأقول أي شيء يفيدكم، بل كنت لأحاربكم نفسياً حتى آخر لحظة لأستلذ وأنا أراكم تسقطون وتموتون واحداً تلو الآخر من الآن، مهزومين بائسين محطمين... تذكروا: أربعة فقط سينجون، أي أن آخر أربعة يبقون في الجزيرة هم الذين سيخرجون على قيد الحياة، وهناك مهلة أسبوع منذ

أن تطأ أقدامكم الجزيرة... أي بعد أسبوع تماما.. إذا لم يبق أربعة فقط على قيد الحياة.. سوف نقتل الجميع ويخسر الجميع اللعبة.. أي أن اليوم هو الأحد والساعة الآن هي الثانية بعد الظهر.. وتنتهي لعبة الموت هذه يوم الأحد القادم عند الساعة الثانية بعد الظهر أيضاً"

وهنا، لمس بعض المشتركين حناجرهم من الخوف، وطأطأ آخرون رؤوسهم، والبعض صار يواسي البعض الآخر، ولكن الدموع والشحوب كانا لا يتركان وجوههم، كأرض يباب لا طعام فيها ولا ماء.

وقال حكمت لسومر أخيراً، وهو ينظر في عينيه نظرات مشفقة على حالهما:

"لقد أكلناها يا صديقي... ماذا سنفعل؟"

فيبتسم سومر، مدعياً القوة، ويقول:

"نحن لها يا صديقي.. نحن لها..."

والغريب، أن حكمت ضحك ضحكة قصيرة، رغم كل صدمته، فكلام سومر أضحكه للغاية، وجعله يطلق تلك الضحكة ولو كانت خافتة، من صميم قلبه.

ثم مسح حكمت دمعة صغيرة جداً تحت عينيه، فوضع سومر يده على كتف حكمت مشجعاً إياه وهو يقول بصوت ودود أخوي للغاية:

"هيْ يا صديقي هيْ.. قلت لك نحن لها..."

لا بد من أن نتشجع إذن، ونغلب ذلك اليأس الذي يأكلنا من الداخل ويمنعنا عن القيام بالخطوة الأولى، ونصبح سحرة، محاربين، أقوياء بما يكفي لأن نتألم من الداخل ألف مرة ثم ننسى ونعود كما كنا، لا لشيء إلا لأننا تعودنا على القسوة، وعلى الكفاح ضد القسوة والقساة، فإن الحياة في مطلق أحوالها.. ليست إلا قشة، كما هي قناعة حكمت.

6

اجتمع أربعة وتسعون لاعباً في المروحية، لأن ستة مشتركين ماتوا، فالأول قتله ستيف بالمسدس نتيجة احتجاجه، والخمسة الباقون قتلهم ستيف أيضاً بالمسدس لأنه لم يرض بمشاركة ضعفاء يغمى عليهم بسهولة ويخافون من أول الطريق.

في المروحية.. كان المشتركون إما ينظرون من النوافذ إلى السماء حيث لا يظهر للعيان إلا الغيوم، أو أنهم يجلسون على المقاعد الجلدية، أو يقفون مثل أصنام، وكانت المروحية من الداخل مليئة بالشاشات والحواسيب وأجهزة غريبة لم يرو مثلها من قبل، وكان تصميم المروحية من الداخل أشبه بأسطوانة لها تخطيط كأمعاء دودة، وجسم طويل، وأضواء كهربائية زرقاء مثيرة للقلق، رغم أن اللون الأزرق في العادة يشعر الناس بالطمأنينة، ولكن، في هذه المروحية، فقد كان يشعرهم بالرعب المطلق، بحيث لم يجد حكمت وسومر تفسيراً لذلك.

قال سومر لحكمت، وهما خلف نافذة يشاهدان الغيوم:

"تذكر يا حكمت.. ثق بنفسك ولا تقلق ولا تخاف.. بمجرد أن تخاف سوف تخسر.. وتذكر أنني إلى جانبك..."

فابتسم حكمت له بطيبة ونقاء، وقال وهو ينظر في عيني سومر: "هذا أكيد.. لا تقلق يا صديقي.. لقد تجاوزت القلق منذ قليل.. وأصبحت أنا من سأشجعك"

ابتسم سومر ووجه لكمة ودية إلى يد حكمت، فاستقبلها الأخير بحركة سريعة من يده كأنه لاعب مرمى محترف، وضحك ضحكة قصيرة. وخلف سومر وحكمت، كان هناك شاب ينظر إليهما بغرابة وبشيء من الألفة، وكان يرتدي بلوزة بيضاء، وشورت أزرق، وحذاء رياضي، وكان نحيل الجسد ولكن بعضلات بارزة وجميلة للغاية، وكأن جسمه منحوت على يد نحات خبير، وكانت تسريحة شعره الأسود السبايكي مثيرة للغاية، وأما بشرته البيضاء ووجهه المستطيل الناعم والجميل، والقاسي في آن معاً.. فقد كان له سحر خاص، لا يُسبر هذا السحر بمجرد النظر، بل يحتاج الإمعان والتعمق الشديدين.

وحين نظر إليه حكمت، قام هذا الشاب بتغيير اتجاه نظره تماماً، بدا وكأنه شعر بالخجل، أو كأنه يتحاشى النظر في عيني حكمت ولا يريد ذلك. والنهاية فإنه أشاح بأنظاره تماما عن سومر وحكمت.

قال حكمت لسومر بهمس:

"هذا الشاب غريب جداً.."

فنظر سومر شزراً إلى الشاب وقال:

"مممممم.. إنه يبدو داهية.."

فضحك حكمت ضحكة هامسة، ولم يكن ينظر إلى الشاب، فهو يكره الضحك والنظر في وجوه الناس الذين لا نعرفهم ولم نلتقي بهم على الإطلاق. وأصلاً ضحكه كان نقياً وخالياً من السخرية.

سُمع صوت همهمة المشتركين وهم ينظرون إلى الجزيرة من النوافذ.. واقترب رجل يرتدي الملابس الرسمية السوداء والنظارات السوداء من باب المروحية.. يبدو أنه المسؤول عن مراقبة المشتركين وهم يقومون بعملية الإنزال المظلي إلى الجزيرة.. وهو من سيحدد: كل مشترك: كل أين سنزل ومتى..

نظر سومر إلى حكمت بقلق وقال:

"أخاف أن ينزلوني في مكان بعيد عنك..."

تكلم

حكمت:

"وأنا أيضاً أخاف ذلك.. ولكن.. مهما كان.. ومهما ابتعدنا.. سنلتقي.."

همهم سومر:

"آمين يا صديقي..."

وبدأ الرجل ذو الملابس السوداء يُلبس المشتركين المظلات، واحداً تلو الآخر، وكانت المروحية لم تصل بعد إلى سماء الجزيرة تماما.. فألبس الرجل سومر وحكمت المظلات بعد اثنين وعشرين مشتركاً ألبسهم إياها قبلهم..

تعاقبت أدوار المشتركين في الإنزال المظلي منذ أن وصلت المروحية إلى سماء الجزيرة ..

ها هو دور حكمت، وكان الرجل ذو الملابس السوداء خبيثاً فقد عرف أن حكمت وسومر صديقين فأبعدهما عن بعضهما.. وأنزل حكمت بعد خمسة مشتركين... قال له الرجل بابتسامة خبيثة:

"اضغط الزر بمجرد وصولك إلى مسافة ٢٠٠ متر من الأرض، واحذر أن تقل المسافة عن ذلك"

ابتسم حكمت رغم كونه قلقاً، ولم يصدق أنه سيقوم بإنزال مظلي في حياته، وها قد واتته الفرصة ليجرب ذلك، فهو، بطبيعة حاله، عاشق للمغامرة وتسلق الجبال والدخول في الطرق الوعرة والقيام بما هو صعب وقاس، فكيف لا يفرح بتجربة الإنزال المظلي؟

رمى حكمت نفسه إلى الهواء وكأنه قطعة ثلج تسقط من السماء، أجل، لقد تخيل نفسه قطعة ثلج، ولا شيء غير قطعة ثلج، وفعلاً، شعر بأنفاسه تتخللها عاصفة من الهواء، كزوبعة، كإعصار رملي، يدخل في فمه ويخرج، وهذا أربكه قليلاً وهو ينزل على الخط الشاقولي والأفقي في صفحة السماء، ليعانق سماء الجزيرة، ويهبط شيئاً فشيئاً، مودعاً صديقه سومر الذي بقي في المروحية، دون أن يعلم متى سيهبط، وأين سيراه مجدداً... هذا ما جعل دموع حكمت تتطاير مع الريح.. أجل.. لقد استطاع أن يبكي أخيراً دون أن يراه أحد.. من القلق والخوف السابقين والوداع الذي قد يكون الأخير: الوداع لصديقه سومر...

فكر في نفسه:

"لا.. لماذا أفكر بهذه السلبية؟ سأجد سومر.. لن نفترق وقتاً طويلاً وأنا على ثقة من ذلك"

وترك نفسه ليعانقه إعصار الهواء، وهو يرى ويتأمل، هذه المناظر السحرية، التي لفتت أنظاره فجأة، وكأنه لم يكن يركز فيها منذ ثوان، فقد شعر أنها كلها جديدة تماما.. لكأنه يرى قصوراً وقلاع.. حصوناً وأبراج.. أنهار وبحيرات.. سهول وهضاب.. وكان يرى على جبل جماعة كبيرة من الأشجار الزرقاء.. أجل.. إنها أشجار بلون أزرق.. لم ير شيئاً كهذا في حياته.. والقصور كانت عالية.. عالية جداً ومزدانة بتصاميم على

شكل نجوم وأقمار وأسماك وحيوانات مختلفة! أما أشكال البيوت الريفية والأكواخ فكانت غاية في التناسق والإبداع.. استطاع حكمت، بأعينه الشغوفة، أن يرى كتل من الأخشاب مبنية بتنسيق معماري بسيط للغاية.. على شكل أكواخ..

اعتقد حكمت أن هذه المسافة مناسبة لضغط الزر، فعدّ إلى ثلاثة بصوت عال، ثم ضغط الزر، وانبثقت المظلة البرتقالية مثل الوردة، بل مثل ريش طاووس، وصارت المظلة تهبط على أقل من مهلها.. شعر حكمت بسرور غامر.. رغم قلقه.. وكان هذا الشعور من بين أغرب المشاعر التي شعر بها وخبرها في حياته.. إنه يجمع بين الإحساس باللذة والإحساس بالقلق..

ها قد هبطت المظلة على أرض ترابية تكللها أعشاب طويلة خضراء، وأخرى حمراء، وأخرى زرقاء، بأشكال نجوم وأقمار ومحارات وصدف، حيث تبدو الزهرة كصدفة على شاطئ بحر، وتظهر الشجرة ككاسحة ألغام زرقاء، مضحكة، ومبهجة، ومهيوبة، في آن معاً.

ارتطم حكمت بالأرض بشكل خفيف، مما جعل ساقه تصطدم بجذع شجرة فتألم قليلاً من ذلك.. وتهاوت المظلة على الأرض كبالون ثقبه طفل ولم يعد صالحاً.. ثم دخلت بسرعة في جوف جهاز المظلة، تعد نفسها للاستخدام من جديد، والطريف: أنها لن تستعمل مجدداً.

حمل حكمت نفسه عن الأرض، واستلقى خلف جذع الشجرة وهو يلهث أنفاسه، بين شعور بالسرور وشعور بالترقب والحذر، وكان يحاول ضبط نفسه وكبت قلقه، ولكن تقوية حذره بشكل يتناسب مع الواقع الذي هو فيه.

وصار ينظر حوله هنا وهناك.. مخفياً نفسه بين الأعشاب.. تحسباً من أن يكون أي مشترك آخر قد رآه. ووضع نصب عينيه كوخاً مهترئاً قريباً، كهدف ليزحف إليه.

***

أثناء زحفه على كومة الأعشاب الممتدة على الطريق إلى الكوخ الخشبي المهترئ.. شعر حكمت بأنه قوي وقادر على القيام بالخطوة الأولى.. مع أن هذا لا يمكن تقريره بسهولة، فهو ليس قرار أصلاً، وإنما حقيقة نعيشها ونختبرها ونضطر للتعامل معها وتقبّل حقيقتها، فالقلق المبالغ فيه لن ينفع الآن: يجب أن أركز، حتى أصل إلى الكوخ..

ها هو يزحف، مستخدماً كوعيه، ولا يمكن لأي أحد في الجوار أن يراه، لأن، ومن حسن الحظ، ثمة حقل أعشاب طويل يحيط به من كل الجهات، مخفياً رأسه وجسده، الذي يتحرك مثل سحلية.

ها قد وصل إلى الكوخ، وقبّ رأسه عن العشب، ليراقب ما حوله، وبعد تأكده من أمان المكان، قفز حكمت إلى داخل الكوخ، حيث هناك زاوية مسقوفة بشكل جيد وغير مهترئة، أما الجانب الآخر من الكوخ فمهترئ تماما، ويمكن لأي شخص كشف حكمت من خلاله.

وجد حكمت سلاح قوس مرمي على أرض الكوخ، فابتسم وقال في نفسه:

"ها قد وجدت سلاحاً..."

ولكن، وبشكل غريب، ومثير للقلق، حين التقط حكمت القوس كان يشعر بكزة قوية في يده، كموجة تيار كهربائي، فمنعه ذلك من حمل القوس، فقال في نفسه:

"هل يعقل أن يكون قوس بالكهرباء؟"

ولكن لا، فكل مرة يحاول التقاط القوس، ومن أي جهة، فإنه يفشل في ذلك، فيشعر حكمت بالاستفزاز، ويكاد يغضب، كعادته، ويثور مطلقاً صوتاً قوياً. لكنه يكبت غضبه في داخله. وما زال مستغرباً لماذا لا يستطيع حمل القوس عن الأرض، وهو يحتاج سلاحاً بسرعة، فقد يأتي أي مشترك في الحال ويقتله، فالأمر ليس لعبة بالتأكيد، بل هي معركة ويجب أن نتقبل حقيقة هذا الأمر.

تنهد حكمت وقال:

"الحقيقة المؤلمة"

وبدا صوته مرهقاً، وذلك من التفكير والاستفزاز، فلحظ شيئاً في زاوية أخرى من الكوخ، وحين اقترب رأى مسدساً أبيض اللون غريب الشكل، ذو سبطانة طويلة، وتصميم طفولي، وأمامه علبة ذخائر، وحين اقترب وحاول التقاط المسدس، فقد شعر بنفس الكزة القوية، والتيار الكهربائي، فتذمر في داخله وصار يلعن حظه العاثر، متأثراً باستفزاز الموقف.

صار يفكر دون جدوى، لماذا ولماذا؟

إذا لم أعثر على سلاح في أقرب وقت فقد أموت على يد أي مشترك يداهم المكان.

وهكذا، صار الأدرينالين يغلي في داخله كبركان، رغم ذلك، فقد أخذ يهدئ من روع نفسه، بكلمات سيلمنالية، كأن يقنع عقله الباطن بأنه قادر على الهدوء، بشكل غير مباشر، ثم يقنع عقله الظاهر بأنه هادئ، وأنه قوي ويستطيع الهدوء، وعندها، تنجح العميلة بشكل فيزيولوجي رهيب، ويهدأ جسمه، ويخف قلقه.

اقترب حكمت من الزاوية أيضاً ولفت انتباهه وجود زي أحمر اللون مطوي بعناية على طاولة صغيرة، وحين لمسه، لم يشعر بكزة ولا أي تيار كهربائي، فأحس بسرور لأنه استطاع لمس الزي. وفجأة، ظهرت شاشة الكترونية مضيئة وشفافة أمام عيني حكمت،

عليها رسم فاخر وجميل للغاية، لرمز برج الحمل الناري.. حمل بقرنين، وهو جالس على كرسي تبدو وكأنها كرسي قائد.

نظر حكمت جيداً في الصورة، وسمع صوت آلي يقول من الشاشة:

"تم العثور على زي برج الحمل.. رجاء البس الزي.."

والآن: اتضح لحكمت كل شيء عن فكرة اللعبة. يبدو أن كل شخص من المشتركين له زي خاص حسب برجه، وبناء على ذلك، فإن له أيضاً أسلحة خاصة لكل برج، والأسلحة التي توافق برجاً من الأبراج لا توافق برجاً آخر، وهذا يفسر بشكل منطقي أن حكمت لم يستطع الإمساك بالقوس والمسدس، فربما هي أسلحة غير مناسبة لبرج الحمل.

شعر حكمت بسعادة وهو ينظر إلى هذا الزي الأحمر وهو يقلبه بين يديه، فكان عباءة فضفاضة مصممة لمقاتل ومحارب قديم، ذات أطراف ذهبية، وزخارف سوداء في الصدر، على شكل حمل بقرنين كبيرين.

ضحك حكمت ضحكة قصيرة، مستلذة، وخلع ثيابه الأصلية وارتدى الزي الأحمر الجميل، وهو مصدق تماما أنه محارب ومقاتل، وكانت هناك مرآة قريبة.. أخذ حكمت ينظر إلى نفسه من خلالها.. ورأى نفسه كأسد شجاع نحيل يرتدي زي

محارب قديم.. وصار يدور حول نفسه مزهواً مفتخراً.. لأنه والحق يقال: كان الزي يليق به جداً.

وانبثقت الشاشة الالكترونية المضيئة أمام حكمت مجدداً، وقال الصوت الآلي، وكان صوت فتاة ناعم:

"أنا الشاشة الالكترونية المساعدة لبرج الحمل، هذا الزي هو الزي الذي سيرافقك حتى النهاية.. رجاء اتبع أي تعليمات وأي إرشادات.. أنت بحاجة الآن لسلاح مناسب لبرج الحمل الناري.. الشجاع ذو الشخصية الساحرة.. المغامر الفذ.. المبدع العاطفي الحساس.. قوي الشخصية عالي الكبرياء.. الذي لا يستسلم أبداً ويمتاز بالقدرة على القيادة والتمرد وعدم الرضوخ للقطيع.. والاستقلالية.. لكنه يغضب بسرعة ولا يملك الصبر.. على أية حال.. يا حكمت.. أرجو البحث عن النقاط الحمر الموجودة على الشاشة.. فهي مكان لكل سلاح مناسب لك.. أتمنى لك التوفيق.."

واختفى الصوت تماما، وظهرت نقاط حمر على خريطة الجزيرة على الشاشة، وكانت خريطة للمكان حول حكمت، بدائرة قطرها خمسمئة متر، توضح مكان توضع الأسلحة المناسبة له.

لم يصدق حكمت مدى سروره وهو يسمع ذلك الصوت الآلي الذكي، الذي يخبره، بقدرة متفوقة في الذكاء الاصطناعي، بمعلومات عن شخصيته، وشخصية برج الحمل،

وفعلاً، كانت هذه المعلومات دقيقة مئة في المئة. أحس حكمت بنشوة تجربة فريدة للغاية، وشعر بإحساس بالعظمة والكمال، لقد استطاع أن يدخل في مغامرة لا يستطيع أي كان دخولها، رغم أنها كانت صدمة ومفاجأة فظيعة ومرعبة، لكنه لا يدري لماذا يشعر بهذا الإحساس الكبير بالمتعة.

7

لم يكن شعوري بالسعادة والسرور يظهر إلا حين أقوم بشيء جديد أو مغامرة عجيبة أو أقرأ كتاباً مثيراً.. ولكن رغم ذلك، فإن شعوري الآن بالخلود يفوق الوصف، فقد كنت أظن نفسي مجرد مشترك في لعبة من الألعاب وها هو الواقع يقول أنني في نزاع موت حقيقي، رغم أنني ضد الفكرة، وضد أي لعبة تتاجر بأرواح البشر.. ولكنني أتوق، دوماً، بأحاسيس مازوشية، إلى الشعور بالألم، والدخول في أمور مفاجأة لم أتوقعها يوماً، مخيفة جداً وتحتاج عزيمة وإرادة وقوة هائلة لكي أتجاوزها. لا أدري أين هو سومر الآن، ولكنني ما زلت في الكوخ، أنظر إلى نفسي في المرآة، وإلى زيي الأحمر الجميل هذا، بعين الفضول والشغف وإدراك ماهية الأشياء.

ها أنا أتذكر، لحظاتي مع أختي الراحلة هديل، إنها هديل الحمام، وهديل الذكريات، وهديل روحي وقلبي وعقلي: لا أستطيع القول إلا أنها أخت رائعة ولا مثيل لها في الوجود، فما أجمل أن يكون للمرء أخت كهذه وما أبشع أن يسلبها منه القدر في غفلة، وصدقاً، فإنني لا أستطيع أن تمر ساعة إلا وأتذكرها فيها، بل أراها نصب عيني، فأتذكر شعرها الأسود النفطي، الذي كانت تطوله إلى أسفل ظهرها، ووجهها المستطيل الناعم ذا البشرة السمراء الفاتحة، وشفتاها اللتان تبدوان مثل قرصي خبز محمصين، وعيناها اللتان إذا نظرتا إليك شعرت بعظمة الأنوثة وسحرها: هذا أمر لن يدركه ولن

يشعر به إلا من يمتلك أختاً كهذه: كانت ترتب ثيابي إذا غفلت عن ذلك، وترتب سريري أيضاً، إذا نسيت، وكانت تدرّسني المواد التي تصعب علي مثل الرياضيات وخاصة التحليل ومعادلات التفاضل والتكامل، وكانت تقرأ لي كتبي، وهذا كان أروع ما في الوجود، إنني أتذكر، ويا لها من ذكريات!

عجيبة هي الذاكرة: لا تغفل أبداً عن أي ذكرى مع من نحبهم، فنبقى محتفظين بها إلى الأبد، وكأننا نستطيع، تحمل عذاب الفراق، وألم الوحدة من دونهم، وكأننا جبال حتى نتحمل كل هذه الغربة الكامنة في عدم وجودهم إلى جانبنا.

إنني أشعر بالاحتراق من الداخل، كلما تذكرت أختي.

فجأة، سمعت صوت إطلاق نار قوي بالقرب مني، فاقشعر بدني وشعرت بذعر شديد.. وإذ بي أنبطح أرضاً وأزحف وأتحرك لأحدد مصدر الصوت... ثم سمعت طلقة أخرى.. ثم صوتاً تظهر فيه المعاناة جلية، شعرت بأن كل ألم هذا الشخص وصلني.. فتحرك الدم في جسمي وصعد إلى دماغي.. وأدركت أن هذا موت، وأن حياة ما قد انتهت بالقرب من مكان وجودي...

وحين نظرت إلى أرض العشب الأزرق.. رأيت شاباً.. إنه الشاب نفسه الذي نظر إلي وإلى سومر في المروحية، إنه ذو الشورت الأزرق والبلوزة البيضاء، وتسريحة السبايكي، ولكنه الآن، كان يرتدي لباساً مختلفاً تماما، فقد كان يرتدي بنطلون

فضفاض أزرق، ذو شكل جميل للغاية، فهو منفوخ، وغير لامع، وكان يرتدي أيضاً حذاء مكشوف أزرق، وأما من الأعلى فكان جذعه عارياً ولكن هناك جزء من الزي يظهر جمال تصميم رهيب: فقد كان جزعه العاري يحمل شريطاً أزرق مرصع بأحجار ياقوت وهذا الشريط يبدأ من رقبته وينتهي عند خاصرته: لقد كان زياً رائعاً للغاية، أكيد هو واحد من أزياء الأبراج المختلفة.

فانبطحت بسرعة، خلف جدار صغير، وأنا أراقب هذا الشاب، لقد كان يحمل بيده مسدساً من نفس نوع المسدس الذي لمسته في البداية ورفضني، لأنه لا يتوافق مع برجي.

ورأيت أمام الشاب تماما، ما أثار غثياني وجعل أمعائي تتقزز وبطني يعطي إشارات بالوجع: فتاة تبدو في العشرينات، ميتة، والدماء من حولها، واقترب الشاب ذو الزي الأزرق، الذي يبدو أنه صاحب صوت الطلقات النارية، وأنه هو من قتل الفتاة، اقترب من مكان الجثة، وأخذ يجمع أشياء بدت لي وكأنها مأكولات أو مشروبات، كانت تحملها الضحية قبل أن تموت.

حسناً: يمكنني القول أن هذه هي أول مرة أرى فيها شخصاً يقتل شخصاً آخر، وهذا أصبح، برغم شذوذه وغرابته، أمراً طبيعياً بل ضرورياً في هذه المعركة: إما أن تقتُل أو أن تُقتل. والمشاعر التي يشعر بها القاتل هنا قبل أن يقتل الضحية لا معنى لها، فإنها

تبدو سذاجة أو قلة عقل أو نقص خبرة في القتال، ولا أحد سيقول عنك أنك شهم وإنساني إذا تركت عدوك دون أن تقتله، فهذا ضعف لا محالة: قانون الغابة، كتبرير وحيد.

لقد شعرت، بأن كل جسمي سيلفظ دماءه وأحشاءه وعقله وروحه، من هذا المشهد المؤلم، وكدت أفقد سيطرتي وأكشف موقعي، لكنني هدأت من روعي.. إنني أخاف من أن يراني هذا الشاب ويأتي لقتلي.. ولا يوجد أي شيء أستطيع الاختباء فيه... فإذا اقترب من الكوخ سيجدني لا محالة.. وأنا لم أعثر على أسلحتي بعد...

مهلاً.. ها هو يقترب.. تسارعت نبضات قلبي من الخوف.. إن وجه هذا الشاب بارد للغاية، لقد تذكرت حين قال لي سومر أن هذا الشاب داهية، وبدا أن سومر كان محقاً فعلاً. فنظرات هذا الشاب إلى ما حوله تبدو وكأنها نظرات شخص يرى كل شيء.. ويفكر في كل شيء.. ويحلل بدقة كل ما يريد فعله، وأنه يستطيع الشك والتحقيق للوصول إلى النتيجة. كل هذا يظهر من خلال عينيه الزرقاوين.

إنني خائف، بل إني أرتجف وأتصبب عرقاً، فهو قادم إلى الكوخ حيث أنا، وكأنه شعر بشيء ويعرف مكاني.. إنه يقترب أكثر.. كأنه يدعس على قلبي..

لقد وصل. وحدق بي مباشرة في عيني، وهو يوجه المسدس تجاهي..

هل سأموت؟ هل سأذهب إليك يا أختي؟ هل سأفارقك يا سومر؟ يا أمي؟ يا أبي؟ على الأقل فلأمت بشجاعة، وليس في موقف كهذا، أبدو فيه وكأنني ضحية مسكينة، لم تعرف كيف تتصرف ولم يتح لها الوقت لفعل شيء في معركة مخيفة كهذه: يبدو أنني أخطأت حين قلت أنني أقترب من الخلود.. لا.. بل إنني أقترب من الهلاك ككلب، كجيفة معفنة لا فائدة ترجى منها، ولم تحقق هذه الجيفة أي إنجاز.

بقيت أنظر في وجهه، وهو ينظر في عينيّ.

قال لي، قاطعاً الصمت:

"يبدو أنك لم تعثر على سلاح بعد..."

وكان صوته بارداً للغاية، ولكن ناعماً، ويوحي بقوة وتماسك لا حدود لهما.

فقلت وأنا أتعتع:

"لا.. لا.. لم أعثر.. على سلاح... إنها.. تبدو فرصة جيدة لك.. لقتلي..."

أجل، لقد تحديته وسط خوفي وتهديد نظراته.

فإذ بي أفاجأ تماماً.. لقد أنزل سلاحه.. وذهب مبتعداً!

شعرت، في هذه اللحظة، كما يشعر خروف يعفي عنه صاحبه من الذبح، بعد أن كان يمسك بيده السكين الجزارة، فهدأت، وصار تنفسي منتظم، وتربعت على الأرض مسروراً بما حدث: لقد نجوت.

التفسير الوحيد: أن هذا الشاب شخص عظيم، لم يجدها جميلة في حقه أن يقتل شخصاً أعزل من السلاح.. لقد كبر هذا الشخص في عيني جداً.. بصراحة فإنني لم أجد في حياتي إنساناً يفعل ذلك. إنه يبدو في مثل عمري، وعادة أرى الشباب الذين في عمري طائشون وليست لديهم مواقف رجولية أو تظهر فيها الشهامة والأخلاق. دعني أعترف أن هذا الشخص أفضل مني.. لأنني لو كنت مكانه، ربما لقتلت شخصاً أعزل من السلاح، مبرراً ذلك بأنها معركة بقاء ولا توجد فيها أخلاق. أما هذا الشاب فقد نظر نظرة عميقة كأنها نظرة فيلسوف إلى الموقف: فتخيل نفسه يقتل شخصاً لا يحمل أي سلاح، أي لا حول له ولا قوة، بدم بارد، وهو يوجه نحوه المسدس: لقد شعر هذا الشاب في نفسه أنه سيكون حقيراً وسينظر إلى نفسه على أنه حقير إلى الأبد إن فعل ذلك، ولم يقبل هذه الإهانة بحق نفسه، فانسحب وتراجع.

ها قد ناديت الشاشة الالكترونية، وقد ظهرت أمامي بسرعة للغاية، فهي سريعة الاستجابة للصوت بالذكاء الاصطناعي.

ونظرت في الخارطة إلى مكان النقاط الحمر، فإذ بي أراها أمامي.. إن النقاط الحمر تحدد مكان جثة الفتاة تماما.. ونظرت من بعيد إلى الجثة، وأدركت، أنها ترتدي نفس زيي، أي أنها من برج الحمل، يا له من حظ سعيد.. يبدو أن لديها أسلحة مناسبة...

وركضت، بسرعة، إلى الجثة، ونظرت فيها بإمعان، وبشعور بالأسى الكبير تجاهها، ولم أشفق على إنسان في حياتي كما أشفقت عليها، فصلّيت عليها، ودعيت لها بالرحمة، وأخذت سلاحها الذي كان عبارة عن عصا حمراء تنتهي بحجرة ياقوت حمراء أيضاً، ولم يكن هناك غيرها من أسلحة، وأما المشروبات والمأكولات فلم يكن هناك شيء أيضاً، فقد أخذهم ذلك الشاب جمعيهم على ما يبدو.

المهم أنني حملت العصا وأخذت أمعن النظر فيها، ثم ركضت بسرعة، وقد خفضت حذري لأن الشاب الذي كان هنا قد ذهب، وبالتأكيد فإنه سيتشاجر مع أي مشترك قريب، وهذا يضلل انتباههم عني..

أخذت أجري سريعاً كفهد، فأنا أمتلك مقومات عدّاء رياضي، وكنت دوماً أفوز بالسباق مع الشباب في صفي في المدرسة، كانت هناك عداءة في صفي قد فازت بالأولومبي الصيني، ورغم ذلك فزت عليها في سباق في المدرسة، فأصبحت تضع رأسها في الأرض كلما رأتني.

ها أنا أقفز فوق المروج: مرج أخضر يتلوه مرج أزرق، مليئان بالأزهار الجميلة والفراشات التي لم أر مثيلاً لها في العالم الواقعي، فكل فراشة كانت مزدانة بالألوان مثل ريش طاووس، ولها ذيل طويل كذيل تنين. المهم أنني وصلت في النهاية إلى قصر كبير.. عليه بابان اثنان.. فدخلت من الباب الذي على اليمين، وكان هناك كريدور ضخم جداً، ويبدو المكان خالياً تماما من أي إنس.

رأيت صندوقاً كبيراً خشبياً، وعادة هذه الصناديق توضع في ألعاب كهذه لكي يختبئ المشتركون فيها في لحظات الحاجة إلى الاختباء.

وها قد فتحت الصندوق، وتكورت على نفسي في داخله، ثم أغلقته، وأخذت أنظر من خلال الثقب فيه إلى الصالة، وكنت بحاجة شديدة لمراجعة نفسي وبعض الأفكار، لكي لا أقدم على أي خطوة ثانية طائشة، ولكن الحظ يلعب دوراً في هذه اللعبة وهذه هي المشكلة، فلولا أن تركني ذلك الشاب لكنت ميتاً الآن، وهذا يعني أن علي أن أفكر وآخذ حذري وحيطتي، من أن الجرة لا تسلم في كل مرة. فقد تأتي مرة وتتهشم فيها إلى قطع صغيرة بل قد تحترق إلى رماد: فالثقة المبالغ فيها في النفس تؤدي إلى الهلاك في أغلب الأحيان.

8

قصر ستيف، جبال الهمالايا:

دخل رئيس الحرس ذو البدلة السوداء والنظارة السوداء، والوجه الأسمر الغليظ، إلى صالون القصر حيث يجلس ستيف على أريكة مريحة، منتشياً، وهو يشاهد فلم رعب دموي (وفي الحقيقة هذا ليس فلماً، بل إنه تسجيلات تصورها الكاميرات من جزر الموت حيث يتقاتل المشتركون) على تابلت لوحي ذو شاشة ١٤ بوصة، وأمامه كأس من الجعة، وكان يبدو عليه أنه سعيد حتى آخر رمق ممكن، ولكن ما عكر عليه سعادته المطلقة هذه، كان صراخ رئيس الحرس وهو يدخل، كما أسلفنا، بشكل مفاجئ للغاية:

"سيدي ستيف.. هناك فرقة من الأنتربول قادمة عبر الطريق في السماء.. حددها الرادار الخاص بنا منذ دقيقة"

فوقف ستيف عن الأريكة تاركاً كل متعته، كأن صدمة اعترته من أسفله إلى أعلاه، وصرخ:

"هيا جهزوا لي المروحية.. اللعنة.."

صرخ رئيس الحرس:

"حاضر سيدي.."

ونظر ستيف إلى ساعته، ووقف للحظات يتأمل المكان للمرة الأخيرة، فقد أصبح هذا القصر منذ الآن من الماضي: هذا القصر الذي أعده خصيصاً له ووضع فيه كل ما يحب وتشتهيه نفسه، وسيضطر لترتيب الأمور مع قصر آخر جديد بعد أن يهرب منه، وهذا ما يزعجه ويكدر عيشه ويؤجل متعته، فهو رجل كيف في النهاية، أي أنه لا يتمنى أن يقضي أوقاته في الانتظار أو في العمل أو في فعل أي شيء متعب، بل يفعل ما يحب أن يفعل ويستمتع في كل لحظة من لحظات حياته، وكل لحظة خالية من المتعة تعد عنده نقصاً في عمره.

فأخذ ستيف يبصق على الأرض ويلعن حظه العاثر، بينما دخل رئيس الحرس مجدداً وقال:

"سيدي.. الحق بي فالمروحية جاهزة.."

ودخل تسعة حراس أيضاً ثم مضى ستيف يلحق برئيس الحرس على الدرج الكبير المؤدي إلى السطح.. حيث مروحية الفرار. وتأسف لأنه لم يستطع توديع غرفته الخاصة.

بعد ثوان، وصل ستيف ورجاله إلى السطح، وكانت هناك غيوم سوداء تنبئ بعاصفة قريبة، والمروحية السوداء ذات شكل القريدس، تنتظره بفارغ الصبر ويتحرك الهواء تحت مروحتها بشكل عنيف. صعد ستيف ثم رجاله من الباب الذي كان يأخذ شكل دولاب ضخم، ثم أغلقوا الباب وحلقت المروحية في السماء بعيداً متوارية خلف السحب والغيوم. تاركة عناصر الإنتربول القادمين خاسرين سلفاً.

***

هبطت مروحيتان اثنتان تحملان شعار الانتربول على المساحة الشاسعة أمام القصر، وبسرعة خاطفة، ترجل رجال الأمن منها واحداً يتلو الآخر وفي حوزتهم الأسلحة الحرارية فائقة القدرة، وصرخ فيهم قائدهم الذي يرتدي ملابس الانتربول السوداء والزرقاء، قائلاً بصوت آمر:

"حاوطوا القصر من كل الجهات..."

وطبق العناصر خلال دقائق معدودة دائرة حول القصر، ورغم دخول القائد وعدد من رجال الأمن إلى القصر بعد خلع بابه فإنهم لم يجدوا إنسياً ولا جنياً في الداخل، وطفت على وجوههم سيمات الهزيمة، وكان القائد غاضباً جداً وبصق على الأرض بصقة فيها كل شعوره بالاستفزاز.

فأخذ اللاسلكي وتكلم عبره بصوت مهزوم:

"سيدي.. لقد هرب ستيف.. قصره خال تماما.."

وأتاه الصوت من الجانب الآخر:

"بهذه السرعة؟ يبدو أنه أخذ كل احتياطاته... على أية حال.. مهما طال الأمر فسنجده.. سنبحث عنه من الغرب إلى الشرق ونسحبه كإبرة من بين كومة قش"

***

بين بكاء أم تندب ولدها الذي لا تعرف عنه شيئاً، وصمت أب مهزوم، وشاشة تلفاز تبث أخبار الرعب القاتلة، لا يستطيع أي أب أو أم تقبلها. كانت هناء تلطم وجهها وهي تشهق الهواء بصعوبة، وتزفره بكره، و بقايا دموعها تكلل وجهها، وقد كانت الدموع منذ لحظات قليلة أكبر بكثير، وكالعادة: في لحظات الحزن، تبدأ الدموع قوية جداً، ثم تخفت بالتدريج، ولكنها تنتهي بالصمت، هذا لأن الصمت هو الأشد تعبيراً عن الحزن. إن ولد هناء غائب منذ الصباح، وقد ذهب كما قال لها إلى الاشتراك في اللعبة، وأخبرها بأنهم لن يروه لأسبوع حتى تنتهي جولة اللعب، وأشفقت هناء على حكمت، حين تذكرته وهو يقول لها أنه سيعود وبحوزته مليون دولار أمريكي، قالها

بابتسامة واعدة وصادقة، والحماس والإرادة يشعان على وجهه، وعيناه تنضحان بالقوة والعزيمة، ولكن القدر القاسي، والقلوب المريضة، حالت دون سعادة هناء وحنّا بذلك.

الفضائيات تعرض الخبر منذ سويعات، بأن رئيس شركة مكروغيم تخلى عن الشركة، وقام بمغامرة إجرامية مجنونة ليصنع هذه اللعبة، وأن هذه اللعبة جريمة حقيقية، وكان العالم كله يلف ويدور حول هذه الجريمة، والعديد من الرؤساء والحكام والمسؤولين عن الألعاب خرجوا وتكلموا، حتى أنهم حظروا الكثير من الألعاب العالمية، نتيجة لما حدث.

أما حنا، والد حكمت، فكان جالساً على الأريكة ينظر في الفراغ، أمامه، وعلى الأرض، وفي السماء، صامتاً، ولم يتكلم منذ أن أطلقوا الخبر.

ها هي هناء تنبذ نفسها وتقول:

"أم فاشلة مثلي.. كان علي.. كان علي إخباره أن في الأمر كذب.. كان علي أن أقول لفلذة كبدي حكمت أنني لا أريد منه المال ولا أريد منه شيئاً... إلا سعادته وأن يكون بخير.. كان علي مثل الغبية أن أقول ذلك"

وقال حنا، لأول مرة، بصوت شاحب:

"الحق على الوالد يا هناء.. الحق على أبيه الذي لم يعرف كيف يفسر الأمر في عقله.. أنا شخص غبي ولم أفكر لحظة واحدة أن هذه اللعبة قد تكون جريمة.. إنها.. إنها يا هناء...."

ولم يستطع أن يكمل، وها هو يبكي، يبكي لأول مرة منذ زواجه من هناء. لم يبكي في حياته بسبب عجزه وضعفه كما هو الآن. لا شيء يستطيع أن يعبر عن قهره والكبت الذي يشعر به، ومدى نبذه لنفسه ووضعه كل المسؤولية على عاتقه، وكانت هناء ستنهار بعد حين، إلا أنه عرف ما عليه فعله، فاقترب منها وأخذها في أحضانه، يحتويها.

بيد أن حكمت رتب أفكاره في عقله جيداً، ووزن الأمور وفتح ذهنه، فقد فتح غلاف الصندوق وخرج منه مستعداً لمواجهة العالم الخارجي والدخول في مواجهات المعركة الحقيقية، فوقف مثل أسد، وكانت عيناه تشعان شجاعة وقوة، وذلك بعد بكاء داخلي استمر لوقت من الزمن. علينا أن نتأكد من أن النجاح لا يأتي إلا بعد الفشل، وأن الصلابة لا تأتي إلا بعد الانكسار من الداخل، حيث تلتهب النواة في فؤادنا وتتصارع وتتضارب المشاعر المختلفة، ليفوز ما نغذيه أكثر، ومن كانت الشمس تشع في داخله فلن تحترق تلك الشمس إلا بموته.

وكان حكمت من أولئك.. الذين لا يموتون من الداخل: فقد ينكسر، وقد ييأس، وقد يتحطم، ولكنه لا يستسلم، لأن هناك شمس، في داخله، إذا توهجت، حولت كل العراقيل إلى رماد.

أمسك حكمت عصاه الحمراء، ونظر في الياقوتة بإمعان، يسبر أغوارها ويحاول فك شفرة تصنيعها، وتساءل بما تفيد هذه الياقوتة في أعلاها، وكيف سأهزم الرماح والأقواس والرصاص والمدافع.. بمجرد عصا!

بالتأكيد هناك شيء ما في هذه العصا يجعلها سلاحاً قوياً، وربما هي ليست مجرد أداة للضرب. هكذا فكر حكمت في قرارة نفسه، ولكنه يستغرب كيف يمكن محاكاة شيء كهذا في الواقع: فلنفرض أن هذه العصا تطلق سحراً من نوع خاص، أو أنها تتلاعب بالجو، أو أن فيها قوة خارقة.. هذا ممكن ولكن في ألعاب خيالية على الحاسوب والهاتف الذكي فقط.. وليس على الواقع.

ومن هذه الأفكار، فقد حكمت أمله بهذه العصا، ونادى الشاشة الالكترونية، فظهرت بسرعة تطفو أمام عينيه، ورأى على الخريطة نقطة حمراء تبعد عنه مسافة عشرين متراً.. فأخذ يتبعها داخل صالة القصر هذه.. وكان يمشي بثقة واتزان.. مستجمعاً كل قوته النفسية والجسدية..

فوصل إلى طاولة مرصعة بالذهب، عليها تماثيل، كان أحدها تمثال من الحقبة الفرعونية، وآخر من الحقبة اليونانية، ولكنه لم يستطع معرفة شخصيات هذين التمثالين، فهو يعرف عند الفراعنة شكل فرعون وشكل نفرتيتي، ولكنه لا يعرف غير ذلك. أما عن أنه كيف عرف أن التمثال الثاني يوناني.. فهذا لأنه يتذكر رسماً يشبهه صوره له كتاب التاريخ في الصف السابع، وتكاد ذاكرة حكمت تؤكد أن هذا التمثال يشبه التماثيل اليونانية.

ولكن ما كان يهم حكمت ليس هذين التمثالين، فهما مجرد زينة لا أكثر ولا أقل. بل كان يهمه ذلك السلاح الجميل الذي رآه، والذي يظهر في الشاشة كنقطة حمراء: مما يعني أنه سلاح متوافق مع برج الحمل. كان هذا السلاح عبارة عن رشاش أحمر ذو سبطانة قصيرة، ولكن مزود بمنظار يبدو متطوراً وعالي الكفاءة من شكله، وحين أمسك حكمت الرشاش بيده، شعر بإحساس لذيذ للغاية، كشغف اكتشافك لجوهرة.

كان شكل الرشاش في يده ظريف جداً، ومهيوب، ويمكنك الإحساس بأنه سلاح حقيقي ولا يمكنك الشك في ذلك إطلاقاً. صوب حكمت الرشاش من على بعد عشرة أمتار إلى التمثال الأول الفرعوني، وركز في المنظار عينيه. كان المنظار، مرضياً في التقريب للغاية، فقد تمكن حكمت من رؤية التمثال كاملاً كأنه أمامه، حتى وهو على بعد عشرة أمتار منه. أطلق حكمت رصاصة، فتهشم التمثال كقطع زجاج صغيرة.

قال حكمت:

"واو... هذا رائع.. رائع للغاية"

فأتاه، بشكل فجائي، صوت أنثوي صغير قريب:

"أنت تجيد التصويب بدقة"

فارتعد حكمت ووجه السلاح في الحال إلى الفتاة.. كانت تقف عند باب الصالة، وهي توجه مسدساً يشبه المسدس الذي كان يحمله الشاب الذي عفى عن حكمت وتركه لأنه أعزل من السلاح.

صرخ حكمت:

"سأقتلك.."

لكن الفتاة، وهي توجه سلاحها باتجاه حكمت، ضحكت ضحكة جميلة وعذبة للغاية، تكاد تقول أنها نقية تماما، وخفضت سلاحها تماما، وقالت:

"إنني لا أرغب في قتلك.. بصراحة.. كنت أراقبك.. لقد ارتحت لك كثيراً... أرغب بأن تكون صديقي في اللعبة.. ألست وحيداً.. من الضروري أن نكوّن صداقات منذ بداية اللعبة.."

شعر حكمت، بأن هذه الفتاة تقول الصدق إلى حد ما، فقد تكون من الأربعة الذين سينجون في حال نجا معها، وكانت فتاة قصيرة وصغيرة، ذات وجه أبيض وجسم نحيل، ترتدي زياً أزرق يكاد يشبه زي الشاب الذي عفا عن حكمت، ولكنه أنثوي، حيث أنه بالإضافة إلى البنطلون الفضفاض الأزرق، كانت ترتدي بلوزة بيضاء على صدرها، وصدرية محكمة التصميم والزخرفة زرقاء اللون، وكان الزي جذاباً للغاية صراحة، وقد لفت إعجاب حكمت.

قال حكمت:

"حسناً.. إنني موافق.. من الضروري فعلاً أن يكوّن المرء صداقات منذ بداية اللعبة.. هذه معلومة قيمة"

فابتسمت الفتاة واقتربت من حكمت، لكنه أبقى نفسه حذراً.

قالت الفتاة:

"هل أنت عطشان؟ في كوخ قريب هناك ماء.. ليست كل الأكواخ والقصور هنا فيها ماء وطعام.."

فقال حكمت وقد تذكر فعلاً أنه عطش:

"آه.. نعم إنني عطشان.."

فابتسمت الفتاة، وقالت له اتبعني. فلحق بها حكمت بخطوات سريعة، إلى الكوخ، فخرجوا من القصر وعبر سوية مع الفتاة جسراً خشبياً يربط بين أرض ترابية وأرض أعشاب، كانت أرض الأعشاب هي الأرض التي فيها الكوخ.. وكانت الفتاة ستقع من على الجسر لكن حكمت ساعدها وأمسك بيدها..

لكن الأمر الغريب أن حكمت شعر أن الفتاة كانت تمثل أنها وقعت، ولكنها لم تقع فعلا. ترى هل هذا محاولة من فتاة في جذب شاب إليها؟ أم أن لهذه الفتاة نوايا أخرى؟ تساءل حكمت في قرارة نفسه.

حين وصلا إلى الكوخ دلته الفتاة على سطل صغير فيه ماء، بالإضافة إلى كأس صغيرة تطفو فوقه، فعبأت الفتاة الكأس من السطل في ثوان، ثم قدمته لحكمت لكي يشرب.

بينما مد حكمت يده لكي يلتقط الكأس.. أتت رصاصة مفاجأة ومدوية هشمت الكأس تهشيماً.. فتساقطت المياه منها على الأرض.. وذُعر حكمت وكذلك الفتاة.. فالرصاصة لم تأتي منهما، بل من شخص آخر خلف حكمت.

نظر حكمت إلى الخلف، فرأى الشاب الذي عفا عنه سابقاً، نفسه بشحمه ولحمه. قال الشاب بصوت قوي يرن بقوة في الجو:

"هل أنت غبي يا هذا..؟ هذه المياه مسممة، لقد وضعت الفتاة فيها سماً لكي تقتلك!"

نظر حكمت إلى الفتاة في قلق، ورأى أن وجهها ظهرت عليه ملامح استفزاز وغيظ وحقد، وهي تنظر باتجاه الشاب.

قال حكمت ببراءة:

"حقا؟"

فسخر منه الشاب قائلاً:

"حقاً أنت غبي..."

وأطلق الشاب رصاصة من مسدسه إلى صدر الفتاة، فتأوهت بصوت بدا مكتوماً، وبالإضافة إلى الدماء التي خرجت بسرعة من صدرها فقد خرج دم من فمها... وسقطت على الأرض إلى الخلف، جثة هامدة.

ركع حكمت على الأرض من تأثير الصدمة، واقترب الشاب منه بعد أن طأطأ سلاحه. وحين وصل، تبدلت نبرة صوته إلى صوت عادي، وهو يقول:

"هذه الفتاة كنت أراقبها منذ فترة طويلة.. إنها تأتي بمشتركين رجال إلى هنا وتقتلهم بسم الماء.. انظر هناك..."

وأشار له الشاب إلى غرفة قريبة.. فاستطاع حكمت رؤية دماء تسيل من الأرضية عند عتبة الباب.

سخر حكمت من نفسه وقال، بصوت شاحب:

"إنني حقاً غبي.. ما الفائدة من شخص تخدعه فتاة بكلمتين.. هل تصدق أنني شعرت بصدق نواياها فصدقتها.. يا لي من أحمق"

قال الشاب:

"من الجيد أنك عرفت حماقتك.. وهذا أول خطوة في طريق النجاح.. شرط أن لا تكرر هذه الحماقة نفسها مجدداً وبأساليب عديدة.."

شعر حكمت بجو من الخوف والقلق مع هذا الشاب.

أكمل الشاب:

"اسمي شهاب.. ما اسمك؟"

استغرب حكمت طريقة الشاب في الكلام، فقد كان يبني تعارف دون أن يكترث بشأن حكمت كمشترك يريد قتله، بل تحدث معه كأنهما صديقين في مدرسة! أجاب حكمت:

"حكمت.."

نظر الشاب مبتسماً في وجه حكمت، وقال:

"إذن فكن حكيماً في تفكيرك وتحليلك للمواقف والأشياء.. لا تدري متى تُخدع ومتى تموت.. تذكر أن الأشياء لا تبدو كما هي عليه إطلاقاً.. وأن لا تحكم على أي شيء من مظهره"

مد الشاب يده إلى حكمت الذي ما زال راكعاً بسبب صدمته، وكانت هذه اليد، مثيرة، ومقلقة، ومخيفة. إن هذا الشاب الداهية الذي اسمه شهاب، لم يكتفي أن عفا عني سابقاً، بل كان طيباً معي وأنقذ حياتي، قال حكمت في نفسه. فقام عن الأرض بمساعدة يد شهاب الخشنة والباردة.

وتكلم بصوت ناعم لطيف:

"حقاً شكراً لك.. لقد أنقذت حياتي.. لا أدري ماذا كان سيحصل لي لولاك.. لكن أريد أن أسألك سؤالاً"

شهاب:

"تفضل يا حكمت"

حكمت:

"لماذا فعلت معي ذلك؟ لماذا لم تقتلني؟"

نظر شهاب بعينيه الزرقاوين الواثقتين إلى عيني حكمت وقال:

"أنا رغم كل شكي في ما حولي إنسان بسيط.. وببساطة: جوابي على سؤالك هو أنني أحببتك"

صُدم حكمت من هذا الكلام، وتساءل في قرارة نفسه، مدهوشاً، عن ماهية هذا الكلام.

فقال شهاب مؤكداً:

"أجل.. كنت أراقبك أنت وصديقك في المروحية.. لا.. بل منذ أن كنا في الصالة.. إنني أعرف كيف أحدد قيمة كل شخص، وأنت باختصار، شخص لا يمكنني أن أتخيل أنني أستطيع قتله، أو حتى التفكير في ذلك، شعور وحدس قوي في داخلي يقول ذلك، ولا أستطيع مقاومة هذا الحدس"

9

لقد تعلمتُ درساً قاسياً للغاية من تلك الفتاة.. وخاصة أنني صدمت تماماً.. لأنني قد رتبت سابقاً أفكاري جيداً وظننت أنني حذر ومحتاط للغاية، وفي النهاية وقعت ضحية كلمتين قالتهما لي، بأسلوب خبيث، متقنة فيه التمثيل بأنها بريئة وذات نوايا طيبة. لولا شهاب لما كنت تعلمت هذا الدرس، بل لكنت تحت التراب.. لا.. ليس تحت التراب بل فوقه كجيفة وعبرة لمن يعتبر..

ها هي الشمس قد غربت تماما، وأنا أمشي خلف شهاب الذي قال لي أنه سيأخذني إلى المكان الذي اختاره لنقضي الليلة فيه، بعد أن أكد لي أنه مكان آمن للغاية، ومختار بعناية، وبعد أن تعرفت على شهاب جيداً وعرفت من هو: أصبحت لا أستطيع إلا الوثوق به.

كما أن شعوري بالقلق منه تضاءل واختفى تماما.. وأصبحت أثق به جيداً، ولكنني، بسبب الدرس القاسي، سآخذ حيطتي وحذري دوماً من أي شيء يقدمه لي أو أي شيء غريب يفعله، وسأشك به، رغم ثقتي به، وهذا يحتاج ذكاء ويقظة.

لقد عبرنا جسراً خشبياً، ثم دخلنا في أرض من أشجار اللوز والتفاح، وأخذت أنا وشهاب نجمع الثمار من على الشجر لكي نأكل شيئاً ما اليوم قبل النوم، وقد قال لي أنه جمع فرخ سمك كبير وحفظه هناك في الموقع.. حيث نحن ذاهبون.. أي أننا في

هذه الحالة بالإضافة للفاكهة والثمار المفيدة للدم، فإننا سنتناول وجبة بروتين مفيدة للعضلات. وهذا مهم للغاية، ولكن تنقصنا الكربوهيدرات من أجل الطاقة. على أية حال فإنها رغم ذلك وجبة جيدة حقاً.

ها قد وصلنا بعد مشي دام عشر دقائق، إلى مكان مثل خربة أشجار، من حوله أحجار صغيرة وصخرة كبيرة للغاية، وكانت هذه الصخرة مكسوة بنبات أخضر متسلق عليه أشواك وزهور وردية..

قلت لشهاب:

"أهذا هو المكان؟ إنه مكشوف للغاية!"

فابتسم، واقترب من النبات المتسلق، وصار بعصاه يحرك أغصانه هنا وهناك.. وتكشّف لي ماذا كانت تلك الصخرة أخيراً: لقد كانت كهفاً مخفياً. بصراحة فقد دهشت كيف تمكن شهاب من معرفة وجود كهف وراء هذا النبات.. لقد كنت متأكداً أن هذه صخرة ولم يخطر ببالي أنها كهف إطلاقاً.

دخلت أنا وشهاب، وأنا أشعر بسعادة غامرة، رغم كل ما تعرضت له من خيبات في هذا اليوم القاسي..

كان شهاب قد جمع أخشاباً وحطباً، ورأيت طاولة خشبية لا أعرف من أين أتى بها ولكن بالتأكيد فإنه أحضرها من بيت ما أو كوخ ما، وعلى تلك الطاولة سمكة محفوظة في كيس..

ساعدت شهاب في إضرام النار في الحطب الذي كومناه على الأرض: لقد كان الكهف واسعاً للغاية من الداخل، حتى أنه عميق ولا ينتهي وربما كان نفقاً.

سألت شهاب:

"إلى أين ينتهي هذا الكهف؟"

فقال لي:

"اطمئن.. لا يوجد أحد غيرنا فيه.. لكن الكهف كبير للغاية وينتهي إلى مكان بعيد.. وقد تفقدته وذهبت إلى آخره سابقاً"

فاطمأن قلبي، وارتاحت نفسي. وابتسمت وجلست على الأرض متربعاً، وأخذت آكل من بعض الفاكهة التي أحضرنا وأنا أستلذ، لقد كان طعم التفاح الأحمر شهياً للغاية: فأنا أحب التفاح الأحمر أكثر من الأصفر والأخضر، مع أنني سمعت في التلفاز الكثير من المعلومات التي تقول أن الأخضر مفيد أكثر.

رميت لشهاب تفاحة بعد أن نظر إلي مبتسماً، فالتقطها ببراعة، وقضم منها قضمة كبيرة، وشعر بنفس شعوري، بأن هذه التفاحة مذاقها شهي أكثر من أي تفاح في العالم.

فقال متأثراً:

"فعلاً إنها شهية.. شهية للغاية..."

لقد كان شهاب في حركاته الحالية بسيط للغاية، بصراحة لقد تفاجأت كيف تبدلت شخصيته من شاب حازم يقط ويحذر ومحلل ويشك في كل شيء.. جامد الملامح.. بارد الأعصاب.. إلى شخص مرح ولطيف وظريف جداً.. لقد شعرت برغبة في الضحك وهو يقول أن التفاحة شهية، فلقد كانت تعابير وجهه توحي بتأثر طفولي، وبأن طفلاً ما يتكلم وليس الشاب القاتل المحترف الذي اسمه شهاب.

فضحكت ضحكة واضحة، من كل قلبي.

نظر إلي متهكماً وقال:

"هل هناك ما يُضحِك فيّ؟"

فضحكت مجدداً، لأن هذا التعبير الذي بدا على وجهه كان مضحكاً أكثر من الأول. ورأيته جلس إلى جانبي وشاركني في الضحك أيضاً، كأنه ينفس عن غضبه ونفسه، وبصراحة، استمتعت جداً معه حتى الآن.

فإذ أسمعه يقول لي، بصوت لا يخلو من دهاء:

"صحيح أنني ضحكت لك.. ولكن في أي تصرف غريب تقوم به سأشك بك وسأحذر"

ورغم أنه قال ذلك، فلم أر أنه يعنيه تماما.

فقلت له بالمثل:

"وأنا أيضاً.. سأحذر وأشك بك دوماً"

ولم أكن أعني ذلك في قرارة نفسي أيضاً.

فضحكنا مجدداً على سخافتنا هذه، وكنت أشعر دوماً بالرغبة في الضحك إلى جوار هذا الشخص: هناك شيء في علم النفس يقول أن الإنسان بمجرد أن يرتاح لشخص ما فإنه يصبح صديقه بالفطرة، وأن الضحك والابتسام المتواصلين مع شخص ما يدلان على أنك ترتاح له بقوة وأنه هو نفسه يشعر بنفس الشعور. أحب علم النفس كثيراً وأقرأ فيه أشياء مثيرة عن النفس البشرية، حتى أن هناك دراسة قرأتها تقول أن الإنسان

بمجرد أن يشعر أن إنساناً ما يكرهه ولا يريد له الخير.. فإنه سيكون شعوراً صادقاً فعلاً.. وأن هذا الشعور لم يأت من العدم.. إنني أفكر الآن بصدد هذه الدراسة وأتذكر كيف كان عمي وامرأته يدّعيان أنهما يحباننني، ولكن، كلما نجحت في شيء أرى السواد في قلبيهما، والحقد والحسد يشع من عينيهما، وكنت أشعر دوماً بنوايا سيئة تفوح من رائحة روح امرأة عمي.. وسأخبركم بأنها كانت لا تنجب الأولاد.. وربما لهذا السبب أصبحت مريضة نفسياً وتظن أن أي شخص ناجح هو عدوها.. لقد كنت دوماً ناجحاً في شخصيتي وحياتي.. ولا أقوم بشيء وإلا وأكون بارعاً فيه.. مما يستثير الحسد والحقد والكراهية العميقة وخاصة عند أقاربي..

ولكن.. عوضني الله بأسرتي: أبي حنا الذي أموت به، وأمي هناء التي أعشق الأرض تحتها، وأختي الراحلة، وصديقي العزيز سومر.

إن الله لا يترك نفساً وحيدة. وإن تركها فتلك لغاية ما.

المهم.. أنني جلست مع شهاب حول النار.. بعد أن وضعت السمكة في سيخ وصرت أتناوب أنا وهو على شيها وتقليبها. وكنا نتحادث بشؤون عديدة.

شهاب:

"ماذا تفعل أنت في أوقات فراغك؟"

فقلت:

"أقرأ كتاباً أو رواية.. أو ألعب بلعبة آندرويد أو ويندوز.. أو أكتب"

فابتسم لي، وسألني بصوت فضولي للغاية:

"تكتب؟ ماذا تكتب وفي أي أصناف؟"

فأجبت:

"أكتب في الرواية والشعر والأدب عموماً..."

فوضع شهاب يداه على الأرض وما زال جالساً، وحدق بي في إعجاب وقال:

"هل رأيت أن بصيرتي في الناس لا تخيب.. كنت أعرف أنك شخص سيحقق شيئاً ما.. شعرت بأنك شخص مختلف.. متميز.. من مجرد النظر إليك.. وبصيرتي لا تخيب في الأشخاص نهائياً.. تعودت أن أقرأ وجوه الناس وأفكارهم وعقولهم وشخصياتهم من نظرة.. ولم أخب في ذلك يوماً.. فلنكمل الاستجواب يا حكمت: هل مستوى الكتابة عندك مرتفع أم منخفض؟ لأصيغ السؤال بشكل جيد: هل ترى نفسك محترفاً أم هاو؟"

ابتسمت، وأجبته مسروراً للغاية بهذا المديح:

"أرى نفسي بين الهاوي والمحترف.. ولكن طريق الاحتراف ليس بعيداً.. لأنني أكتب مذ أن كنت في الثانية عشرة.. والكتابة هي الهواء الذي أتنفس..."

فسألني أيضاً، وما زال مبتسماً، ويقوم بدور محقق فذ، شغوف، يرغب في معرفة كل شيء عن المتهم:

"حكمت.. هل لديك كتب منشورة؟"

فابتسمت في إحباط وقلت:

"لا.. ليس لدي.. بصراحة لا أرغب في دفع النقود من أجل النشر.. وأبحث عن ناشر ينشر على حسابه.. لهذا فإن الرفض يستمر ويستمر.. وكلما كتبت رواية يأتيني رفضها من دار نشر.. يتحججون بالسوق والميزانية وأحياناً أشياء أخرى لا يقولونها: مثلاً حين أكتب رواية سياسية، فإنها ترفض لأن الناشر يكون خائفاً منها، وحين أكتب رواية ذات فكرة جديدة للغاية، أيضاً يخاف الناشر ولا يجازف، ولا يغامر بتبني شيء غير مضمون، ويرفض الرواية"

فرك شهاب ذقنه بيده اليمنى وسألني:

"أنت تستمر بتقديم الروايات لهم رغم رفضهم؟"

فقلت بثقة:

"نعم.. ودوماً"

فتنهد شهاب معجباً، وقال:

"أنت شخص رائع.. لا أحسدك ولكن أغبطك على هذه العزيمة والإرادة وهذا الطموح الذي لديك.. لو كان لدي شيء مثله لكنت سعيداً في حياتي.. ولكن ليس لدي شيء أبرع فيه.."

شعرت بأن هناك إحباطاً كبيراً يسكن نفس شهاب، وهذا أحزنني جداً، وأشعرني بالضياع في تحليل شخصيته: بصراحة لقد اختلف تماما عما كان منذ لحظات، وشعرت بألم عظيم يسكن روحه الجميلة، يتسلل من خلال أنفاسه وهو يتكلم.

فتابع يقول بإحباط وهو ينظر في الفراغ:

"ما أروع أن يمتلك الإنسان شيئاً ليفعله.. أما أنا.. فلا يحيط بي شيء إلا الكراهية.. أب يعنفني وأعمام يستحقرونني أينما جلسوا.. وعمة تتمنى موتي.. ولا يمكنني الفرار من هذه البيئة التي أنا فيها.. شيء مجبر عليه تماما.. ليس لدي أي أحد إلى جانبي.. سوى أخي الصغير المشلول العاجز الذي لا حول له ولا قوة.. وأمي التي تموت بي وتعشقني.. وتدعو لي دوماً..."

بصراحة: كدت أبكي، لكنني حبست دموعي في جوف عيني، وسمعت شهاب وهو يتكلم حتى آخر لحظة، متأثراً للغاية: لقد شرح لي قصته مع أعمامه الذين يرونه دوماً تافهاً ويحقرونه في أي فعل يفعله، وقال لي أنه يعمل في نقل البضائع والتخزين عند وكيل شركة لبيع المنتجات الغذائية.. وأن هذا العمل يرهقه للغاية وأن المبلغ كله يأخذه والده السكير منه.. ليصرفه على الشرب ومضاجعة البنات في الليل..

ترى يا ربي هل تفعل ذلك للنفوس العظيمة لتختبر آلامها وصبرها؟ هل تضعنا وسط آلام وعذابات عظيمة لكي تجعل منا أبطالاً.. أنفساً نبيلة وقوية؟ لماذا يكتب الكتاب ويتفلسف الفلاسفة؟ لماذا يصنع الإنسان المجد بالاختراع والفن والأدب؟ لماذا نبني المؤسسات ونشيد القصور؟ هل من أجل أن يسود الغني على الفقير.. ويعذب اللئيم الكريم.. ويدعس الحقير بقدميه على رأس الطيب النقي...

يا لك من قاسية أيتها الحياة.

حين انتهى شهاب من كلامه وفضفضة مشاعره إليّ، قلت له بثقة، ليس لأنني أشفقت عليه بل لأنني أعجبت به:

"أنت شخص رائع وعظيم يا صديقي.. وإلا ما كان الله ليختارك ويضعك في معركة الكراهية هذه.. إني لو وضعني الله مكانك لكنت قتلت نفسي من شدة ضعفي وقلة حيلتي.. أما أنت فاختارك لأنك قوي.. وتقدر على فعل كل شيء.. ولكل ألم نهاية..

ولا شيء يبقى إلى الأبد يا صديقي.. فأبهج نفسك وأفرحها.. وتأكد أن الانتصار لن تراه في الخارج بل هو في الداخل.. وأي انتصار فهو يبدأ من الداخل أولاً.. وإن لم يكن جوفك مرتاحاً فالوعاء من خارجك لن يكون مرتاحاً ولو فعلت أي شيء.."

ابتسم شهاب، وقال:

"لا عليك.. اعذرني لأنني عقدتك بحياتي الخاصة.. على أية حال فإنني لست متألماً إلى هذه الدرجة ولست أرغب في الانتقام منهم على ما فعلوه.. مشكلتي أنني لا أجد وقتاً لنفسي بسببهم.. لو كان وقتي ملكي لفعلت شيئاً مثلك وحققت شيئاً لذاتي.. أو كنت سعيت لطموح كبير.. فإنني أحب جداً شيئاً مثل هذا.. فهذا أروع ما يمكن أن يفعله الإنسان من أجل نفسه ومن أجل الحياة ومن أجل المجتمع.. يقال أن من لا خير فيه لنفسه لا خير فيه للناس.. والعكس صحيح أيضاً... لكن الأمر ليس بيدي.. لذلك سعيت للهرب من البيت لمدة أسبوع والاشتراك في اللعبة والفوز بالمبلغ المحترم.. عندها سأرتاح من كل هذا العذاب"

ابتسمت، وأنا أنظر في عيني شهاب اللامعتين، وكانت النيران تنعكس على أعينه الشفافة، فتبدو كأنها تلتهب، برغبة عارمة في الحياة، وتحقيق حلم نبيل جميل.

قلتُ:

"شهاب.. لقد سررت جداً بالتعرف إليك.. أنت صديق رائع.. وشخص محترم وفاضل ومضحي وإنسان حساس.. وبالتأكيد شخص مثلك سيكون شيئاً مهما في المستقبل.."

ابتسم لي، وهو يضحك، كأنه يسخر من نفسه:

"آه.. فهمت عليك.. يا أستاذ موعظة"

ضحكت وقلت:

"أنا أستاذ موعظة؟ أنا أكره المواعظ على فكرة..."

فضحك بصوت قوي، وكانت ضحكته هذه أقوى ضحكة، ثم سكت، ونظر إلى وجهي في راحة وقال:

"لقد تكلمت بحياتي الخاصة معك لأن قلبك طيب.. والفضفضة تريحني.. ولم أر أحداً مناسباً لأفضفض له سواك.."

قلتُ له:

"أنا دوماً لك يا صديقي.. يؤذيني ما يؤذيك ويبهج روحي ما يبهج روحك.. فأخبرني دوماً وشاركني ألمك ومعاناتك.."

فضحك شهاب بصوت قوي، ولكن، ليس بسخرية، بل بإعجاب، وأخذ يصفق بحرارة، وحين انتهى من التصفيق قال بصوت مرح:

"شاعر.. شاعر يا حكمت..."

فابتسمت من قلبي، وضحكنا ضحكة مزدوجة، والروح البهيجة تعم في المكان. وكان الجو في هذه الليلة غير بارد إطلاقاً، وحرارة النيران وشغف الصداقة الجديد بيني وبين شهاب أخذني إلى عالم آخر من الاطمئنان والبهجة.

10

بينما شعرت بإحساس من الموت يعتري كياني.. سألت شهاباً الجالس قبالتي وهو يمضغ قطعة من لحم السمك:

"شهاب.. بماذا شعرت حين قتلت أول ضحية من ضحاياك؟"

وكان سؤالاً عميقاً، ما دل على عمقه هو نبرة صوتي الغارقة في معنى ما أقول، وعيناي اللتان تنظران في الفراغ كأنهما تبحران في الفكرة، وكان من يراني يقول أنني شارد في قضية صعبة النقاش.

فتوقف شهاب عن المضغ، كأن صدمة اعترته وهزت كيانه من الداخل، وابتسم ابتسامة فارغة، ونظر في عيني كأنه ينظر في الفراغ، وقال بصوت شاحب:

"حكمت.. سأجيب عن سؤالك شرط أن تعدني بشيء ما"

فقلت:

"لك ذلك، ما هو الشرط؟"

فقال مبتسماً:

"أن لا تعيد هذا السؤال مرة أخرى، فنحن مضطرون لفعل هذا الشيء وأنت تعلم أكثر مني أنه فرض علينا فرضاً.. وأننا لا نقتل من أجل لذة القتل بل من أجل البقاء.. البقاء لا غيره.."

فابتسمت مدركاً كل ما يرمي إليه، وقلت:

"أعدك بأنني لن أكرر هذا السؤال"

فتنهد، وأجاب:

"شعرت حين قتلت تلك الفتاة.. أول ضحية من ضحاياي.. بأن سماً يسري في كل قطرة دم في جسدي.. وأن المياه المكونة لجسمي جفت.. شعرت بأن كل شيء أمامي يتضاءل جماله، حتى الألوان لم أعد أشعر بها وأميزها، بل كنت أميزها، ولكن، تحديداً لم أكن أشعر بها، وأرى كل شيء باللون الأسود في داخلي... إن سلب حياة الناس ليس سهل.. إنه أقوى عبء جثم على صدري وما زال يجثم حتى الآن.. ماذا نفعل يا صديقي.. لقد كُتب علينا أن نتحول إلى قتلة ووحوش ضارية تجوب البراري من أجل البقاء..."

فصمتُّ، وأخذت أسترسل في استرجاع ما قاله، وبعد حين، غيرت الموضوع تماما، وقلت:

"شهاب.. أتعلم أنك شخص حساس للغاية.. وأعتقد أنك تستطيع أن تصبح فنانا.."

فضحك شهاب ضحكة لعوبة، وقال:

"شكراً على المجاملة"

"إنني لا أجاملك.. صدقني.. هناك كثير من الناس يملكون القدرات ولكنهم لا يعرفون ذلك، ويعتقدون أنهم خلقوا فقط ليمشوا كما عودهم غيرهم.. وهذه القناعات ترتبط بالتربية وطريقة الأهل في الكلام مع الأولاد.. هل تدري أن العقل الباطن هو مشكلة الشعب العربي كله؟!"

نظر شهاب إلي في فضول، وكانت عيناه تسألان، بل تغرقان في التساؤل، وكأنه يستلذ بكل كلمة أقولها.

تابعت، بنبرة عميقة:

"أجل يا شهاب.. الأمة العربية تربت على الضعف والخنوع والاقتناع بأن الإنسان فاشل ولا يستطيع فعل شيء.. وطبعاً لا أشمل الجميع.. ولكن الأغلبية تنتمي إلى هذا الصنف للأسف، هناك شيء يدعى السبيلمنال أو فن التلاعب بالعقل الباطن، والأهل والكبار عموماً يستخدمونه على صغارهم دون أن يعرفوا، وبطريقة سلبية، أيضاً دون أن يعرفوا أنها سلبية"

تنهدت، وابتلعت ريقي، واستطردت منفعلاً في الحديث:

"لقد أجرى عالم ياباني تجارب على الأرز ونباتات أخرى.. حيث وضع علبتي أرز، واحدة أحبها وصار يقول لها أنه يحبها ويعشقها، أي يرسل لها طاقة إيجابية، والثانية صار يقول لها أنه يكرهها، ويتمنى فناءها، والنتيجة كانت أن الأولى بقيت على حالها بيضاء نقية وجميلة كأي كرات أرز عادية، وذلك بعد خمسة أيام، وأما الثانية فظهر عليها العفن واسودت وماتت فيها الحياة"

كانت عينا شهاب تتوهجان وهو يتابع كلامي بفضول عارم، وبشغف عظيم، للاستماع والفهم.

فقال لي:

"إذن.. يمكننا أن ندرك أن الإنسان لا يقل في شيء عن كرة الأرز تلك.. فحين نحبه ونرعاه ونعطيه الطاقة الإيجابية يصبح ناجحاً واثقاً بنفسه، وحين نعطيه الطاقات السلبية فإنه يكره نفسه ويكرهنا ويقتنع أنه فاشل، ويسقط في النهاية"

ابتسمت وقلت:

"تماما"

وفجأة ودون سابق إنذار: شاهدنا ما أرعبنا، فقمنا بسرعة تاركين طعامنا والنار وحيدة.. تستعر بلهيبها وتتمايل.. ونحن نحدق في تلك الأفعى التي تزحف باتجاهنا.. للأسف الشديد نظرنا حولنا لنجد أسلحتنا وإذ هي موجودة في مكان بعيد: حيث وضعناها بعيداً عن مكان جلوسنا.. وكان هذا المكان خلف الأفعى تماما. شعرت بالخوف وأنا أمعن النظر في جسدها الضخم، فكان عرضها يقارب عشرين سنتيمتراً.. وأما طولها فأنا أحاول تحديده.. لكنني لا أراها من الخلف فهي قادمة باتجاهنا...

صرخ لي شهاب:

"لقد أكلناها يا صديقي.. إن الأسلحة بعيدة عنا تماما... انظر.. يا لها من وحش حقيقي"

ها أنا ألتحم بجسد شهاب، كل منا إلى ظهر الآخر، ونحاول الابتعاد عنها وهي تقترب.

قلتُ:

"لا نستطيع استخدام خطة الشجرة لأننا تحركنا بسبب ذعرنا منها نتيجة الصدمة.. فلن تصدق أننا أشجار"

تصبب العرق مني، وكذلك من شهاب، وقال الأخير:

"لقد ربّطت هذه الأفعى تفكيري.. انظر إنها تقترب.. ماذا سنفعل؟"

استمرينا في التحرك كجسد واحد والابتعاد عنها... واقتربنا من النار وأخذ كل منا حطبة مشتعلة، وصرنا نحركها جيئة وذهاباً في وجه الأفعى: لكنها جبارة، حتى أنني اعتقدت أنها أسد من شدة شجاعتها، فهي تتحرك وتمد لسانها باتجاه النيران..

صرخ شهاب:

"هل يعقل.. حتى النيران لا تخيفها"

إنها سوداء مبرقعة بالأحمر، ولا أستطيع أن أعرف نوعها، لكنني أتذكر أنني رأيتها في الكثير من القنوات الوثائقية.. ولكن من المرجح أنها سامة وقاتلة للغاية...

برغم أنني أرتجف، وبدني يقشعر كلما فتحت فمها وظهرت أسنانها الطويلة من خلالها، فإنني أحاول التماسك. كذلك شهاب: لم أر شهاب يتصبب عرقاً كهذا من قبل، حتى فاحت رائحة عرقه بسرعة شديدة.. وأما أنا فكان عرقي يسيل أنهاراً من جبهتي.. ها قد وصلت أنا وشهاب إلى مكان الأسلحة.. والأفعى ما زالت تخطط لالتهامنا في أقرب فرصة، ولدغنا من أقرب مكان..

كان جسدها مثيراً للغثيان. في حالة مزرية كهذه، شعرت أنني أنظر إلى عيني قاتلتي وأنا أحدق في عينيها الحمراوين.. وبأن الحياة ستنتهي في عروقي عما قريب.. وسأتحول مع شهاب.. الصديق الصدوق.. إلى وجبة شهية.

ها قد هجمت بقوة، باتجاه رأس شهاب، فصدها الأخير بالنار بقوة، فتراجعت، وكانت تنظر إلينا بقوة، وحقد، وكأننا قتلنا لها أولادها. وقد لفت الأفعى دورة كاملة حول نفسها.. إنها تطوي ذيلها على الأرض في دوائر وترتفع عن الأرض وتمد رأسها كزرافة إلى الأعلى.. ثم قفزت علينا بقوة.. صرخت أنا وشهاب صرخات مدوية، وقبل أن تصل إلينا استطعنا النجاة وابتعدنا عن الموقع: كانت قفزة محكمة، ولولا الانتباه الشديد مني ومن شهاب لكانت لدغت واحداً منا.

يا إلهي ساعدنا.. إنني أشعر بالخوف، وأسمع نبض قلب شهاب الذي ينبض كمحرك سيارة من شدة الخوف. نظرتُ إلى الأسلحة التي لا تبتعد عنا إلا مترين.. والمشكلة أن هذين المترين مثل الخط الفاصل بين الحياة والموت.. ولكنني، قلت لشهاب أنني سأتشجع وأحضر سلاحي.

فقال لي:

"حاول يا حكمت.. وأنا سأضلل الأفعى.."

فكيت ظهري عن ظهر شهاب في شجاعة وسرعة، وأنا أركز بدقة إلى المكان حيث سلاحي الرشاش نائم على الأرض.. وصار شهاب في نفس الوقت يضلل الأفعى وهو يحرك عود النار هنا وهناك في الهواء..

التقطت السلاح الرشاش بسرعة، ولكنني فوجئت بشهاب يصرخ صرخة قوية للغاية، بل إني ذعرت منها وخفت عليه خوفاً شديداً، وحين نظرت رأيت الأفعى قد لدغته في فخذه.. وارتمى عود النار منه على الأرض، وصار شهاب يتوجع ويأن..

حاولت نسيان ذلك، وسددت إلى الأفعى وأخذت أطلق الرصاص رشاً لا دراكاً.. ابتداء من ذيلها وإلى الأعلى.. دون أن أطلق على الرأس لأن الرأس مغروس بقوة في فخذ شهاب..

صرخ شهاب:

"اللعنة.. اللعنة.. ما هذا الألم"

ولكنه، ببسالة، أمسك رأس الأفعى بقبضة يده، وهذا المشهد أبهرني للغاية وأنا أراقب هذا الشجاع وهو يطوق بقبضتيه فكي الأفعى، ويحاول بقوته العضلية أن يفتح فكها وينزعه بقوة من فخذه حيث العضة القاسية والمؤلمة.

شهاب كان يتحشرج من الألم، وفكه العلوي يكز على السفلي بقوة، وأسنانه مصطكة. وحدثت المفاجأة السارة: لقد استطاع نزع رأسها، ولم أكن غبياً في هذه اللحظة، واستغللت ما حدث جليّ الاستغلال، وصوبت الرصاص على رأس الأفعى، فتطايرت النيران من الرشاش بسرعة.. وتفجرت رأس الأفعى تماما.. وانبثق الدم كشلال غزير منها حول المكان.. حتى تلطخت رأس شهاب بدمها.. وكذلك وصلتني بقع دم علقت على زيي.

وبمجرد أن رأيت أن الأفعى لم تعد قادرة على الحركة.. دأبت إلى شهاب سريعاً وصرخت له:

"شهاب.. شهاب.. هل أنت بخير؟"

وبالتأكيد، هو ليس بخير، فهذه الأفعى سامة للغاية.

ركعت على الأرض أمامه وأخذت أمتص السم بفمي من مكان العضة في فخذه الأيمن.. وأبصقه على الأرض، وهو يتوجع في كل مرة أشفط فيها السم.. لقد كاد شهاب يبكي من الألم، وشعرت أنا بأنني سأبكي، ولكن في لحظات كهذه يجب حبس الدموع والعمل بكد وتعب وتركيز، فلا نريد أن نخسر حياتنا. لقد خفت وقهرت في داخلي كثيراً وتساءلت إن كان شهاب سيموت.. فإن مات فلن أسامح نفسي ولن أسامح صانع اللعبة ولن أسامح أحد..

لقد بصقت كمية كبيرة من الدم من فخذ شهاب.. وأعتقد أن هذا كاف.. وفكرت في نفسي، إن ذهبت في الخارج فبالتأكيد سأجد ترياقاً للسموم، فهذه الأشياء موجودة في العادة في ألعاب البقاء. بالتأكيد لن يغفل مصممو اللعبة عن شيء كهذا.

ولكنني خفت أن أذهب ويتعرض شهاب لهجوم، رغم ذلك، لم أستطع إلا أن أسعى للخروج.. فهو على هذه الحال سيموت..

قال لي، وفمه يرتجف:

"حكمت.. حكمت..."

ولم يستطع المسكين أن يقول أي شيء، بصراحة: أخذت أنظر إليه في إشفاق.. حتى سالت دمعتي من عيني ولمعت بانعكاس ضوء النار عليها. فتركت شهاباً وأسرعت كفهد إلى خارج الكهف.. وحين خرجت غطيت الكهف بالنبات الأخضر تماما حتى لا يكشفه أحد.. وسعيت وكلي شجاعة وإصرار على إنقاذ صديقي من موت وشيك...

11

برغم مشاعري المتضاربة، بحيث لم أحس بأن في داخلي عدداً هائلاً من المشاعر المتضاربة كما أنا الآن، فإنني، كنت أعدو بشكل سريع جداً على الطريق التي تمر بالأكواخ الخشبية.. وكانت عزيمتي قوية للغاية، وكلما شعرت بأن فكرة سوداوية ما ستأكلني، حرقتها في جوفي، وقررت ألا أستسلم: لا أريد لشهاب أن يموت. شهاب يستحق الحياة أكثر من أي شخص آخر في هذه اللعبة حتما، حتى أكثر مني.. أريد له أن يعيش ويحقق حلماً ما.. أن يعثر على شيء يشغف به ويعمل عليه حتى ينجزه في النهاية.. محققاً في ذلك الشيء الذي تحيا به روحه.

قفزت فوق أسيجة خشبية مهترئة، أمامها ذات اليمين وذات الشمال أحصنة للقيادة. كانت أحصنة رائعة وقوية وجميلة: منها ما كان بلون أسود ومنها أبيض ومنها بني.. إلخ.. لكنني خفت أن أركب أحدها فأنا لا أجيد ركوب الحصان. والوقت الآن لا يسعفني للتعلم، بل يجب أن أسرع في عملية إنقاذ شهاب من الموت.

وبصورة فجائية، كاسرة للقلب، محطمة للفؤاد: إذ بي أشعر بأحاسيس كبيرة جداً من الإحباط، ولكنني استغربت ذلك صراحة، صحيح أنني كنت قلقاً متضارب المشاعر، ولكن، لم أكن أشعر بهذه المشاعر السلبية إطلاقاً، لقد أحسست بأن الحياة كلها تسير ضدي، وأن الكون مستحيل أن يكون إلى جانبي في أي شيء أفعله، وأن كل

شيء أقوم به غير مجد ولا فائدة منه إطلاقاً: باختصار، شعرت بالعجز والقيود والسلاسل تكبل روحي من كل جهة وصوب.. حتى لقد ركعت على الأرض بصورة فجائية وجسدي أبى أن يستجيب لي..

هذا كله غريب تماما: لم أشعر بمشاعر إحباط كهذه في حياتي، بل إني أكاد أشعر بالرغبة في الاستسلام والموت، وهناك صوت داخلي يصرخ لي توقف عن المحاولات المثيرة للشفقة..

بدا كل شيء من حولي ضباب، ولم أعد قادراً على رؤية الألوان: فلا أرى إلا اللون الرمادي وبخاراً من حولي يحجب عني الرؤية، وأتخيل هالات سوداء تحيط بي وتناديني لأسقط إلى وادي سحيق مرعب.. حيث تكون هناك أفاع ونسور جارحة تنهش جيفتي العفة.

ولكني مررت بحالة واحدة في حياتي مشابهة لهذه الحالة: حين ماتت أختي هديل، فقد شعرت وقتها بأن الدنيا سوداء، وماتت بهجتي، ومات الحب في داخلي للحظة كبيرة من الوقت، واكتشفت بعد أن تجاوزت ذلك الظرف أن فقدان الحب في داخلنا هو وحده السبب في هزيمتنا.. وأن طاقة الحب تهزم كل شيء.. إنها تتغلب حتى على السحر.. وتجعلنا نقفل على طاقات الكراهية والحسد والبغضاء والشعور بالهزيمة.. بقفل من فولاذ..

ها أنا أستعيد خبرتي السابقة، وأدرك، بشعور وإحساس كبير بالأمل: أنني بالحب سأتخلص من هذه الطاقة السلبية كلها.. وأخذت أحب نفسي.. وأتلو على عقلي الباطن، في صورة غير واعية، أنني أحبه، وأنني إلى جانبه، وأن الكون كله يتجسد في داخلي، وأن الحب كله ينبثق من جوفي، وكنت قد تعودت على التلاعب بعقلي الباطن منذ زمن، فقد أصبت حين ماتت أختي بمرض نفسي يسمونه متلازمة الألم المزمنة، وقد قال لي الأطباء أن العلاج في الحبوب والأدوية، ولم يضيع أحدهم وقته معي في أي شيء مفيد.. وجعلوا أبي يصرف ما فوقه وما تحته لكي يعالجني ولم أستفد في شيء من كل تلك الحبوب والأدوية.. واكتشفت.. بعد خبرة طويلة في هذا المرض، أن العلاج الوحيد هو طاقة الحب، وأن أعود فأحب نفسي، واقتنع عقلي الباطن بذلك تماما: مؤمناً بفكرة أن لا هم يبقى ولا حزن يدوم.. وأنني في النهاية مهما طال الأمر سأتجاوز هذه المحنة، لأكتشف، بعد يوم واحد وليس بعد شهر، أن متلازمة الألم هزمت تماما، بل لقد قتلت ولن تعود...

فالحل يكمن في ثلاثة أمور إذن: ١- الرضا والتصالح مع الذات والتسليم بما حدث لي. ٢- أن أحب نفسي. ٣- أن يقتنع عقلي الباطن بأن لا حزن يدوم، وأن هذه الحالة سأتجاوزها مهما طال الزمن.

وحين تذكرت هذه الطريقة، أخذ عقلي الباطن يستجيب لها في الحال الآن، وأنا تحت مشاعر الإحباط والاستسلام.. فإذ بي أتفاجأ وأدهش، بأن كل مشاعر اليأس تلاشت، وأن الصوت الداخلي الذي يجرني للموت اختفى، وأن الحب طاقة طغت في داخلي على روحي وقلبي وعقلي.. كالنار المتقدة والشمس التي تنير كل شيء...

فوقفت عن الأرض، ونظرت حولي، وعادت لي الرؤية تماما، إني أرى كل الألوان وكل شيء.. وأشعر بما حولي بيقظة وإحساس عالي جداً، لقد عدت كما أنا حكمت النسخة الأصلية. فابتسمت، بينما القمر في السماء ينظر إلي وكأنه يحبني.

ونظرت أمامي، وصدمت، حين رأيت رجلاً، يبدو كأنه في الأربعين، يحمل عصا في يده كالتي معي، ولكنها مختلفة في اللون ومختلفة في الحجر الكريم الذي يكسوها من الأعلى.. استطاعت عيناي، أن ترى المشهد كاملاً، وتمكن عقلي من تحليل ما حدث: فإني أرى هذا الرجل يوجه العصا نحوي دون نية ضربي.. وكأن في العصا سحر يرمي به عليّ.. فقلت في قرارة نفسي أن هناك تفسير وحيد: كل تلك المشاعر السلبية التي راودت خوالج نفسي منذ لحظات كانت بسبب هذه العصا، فهذا الرجل يقف في وضع ساحر تماما، وكأنه يثق ثقة عمياء بأن هذه العصا ستسحرني.. وهي بالفعل استطاعت سحري لوقت من الزمن.. ترى ما قدرات هذه العصا؟

كان الرجل يحدق في بعينيه بذهول بحت، وقال:

"هذا مستحيل.. كيف تغلبت على هذا؟"

أجل، لقد كان مصدوماً تماما، ومن الجيد أنه لا يملك أسلحة غير هذه العصا: إنني أعتقد جازماً أن لها فوائد سحرية عجيبة، أو تلاعب بشكل ما بالعقول. أها.. لقد فهمت.. يخطر ببالي الآن أنها تتلاعب بالعقل الباطن بطريقة ما.. إنها نوع من السبيلمنال..

وجهت رشاشي إلى الرجل تماما، بثقة، وثبات تام، فركع الرجل الأربعيني يائساً على الأرض.. شعرت بشفقة تجاهه لا أدري لماذا.. هذا الرجل كان يرتدي زياً رسمي، ولكنه زي رسمي عادي، بدا وكأنه زي من تصميم صانعي اللعبة، فكان ذو ربطة عنق جذابة، حمراء اللون، طويلة وتنتهي بسهم إلى الأسفل عليه رسم لفم ثور. أما البدلة نفسها فكانت عملية للغاية، إذ يبدو وكأنه موظف في دائرة حكومية. ها هو يبكي، ويضرب الأرض بقبضتيه الاثنتين حتى لقد أحزنني هذا الرجل، وشعرت بأنه طيب القلب مغلوب على أمره، واستغربت كيف لرجل مثله أن يشارك بألعاب كهذه.. ولكن المال يدفع الإنسان لفعل أي شيء.. كنت أصوب سلاحي تجاهه.. وكان خائفاً.. مذعوراً.. كقطة وحيدة تبكي وتبحث عمن يطعمها.. بل كلاجئ سوري يطلب من رئيسة وزراء ألمانيا أن يرتمي في أحضانها...

لم يكن قوياً حتى على الكلام.

قلت له بعفوية، ولكن بصوت سريع وحازم:

"هناك أمر إن ساعدتني فيه عفوت عنك"

فنظر إلي، في تذلل واستعطاف، وقال:

"أرجوك.. اعفو عني.. اطلب ما تريد.. سأفعل أي شيء.. فقط اعفو عن هذا الرجل المسكين..."

لقد كرهت طريقته في الكلام بذلّ وعار، ولكنني، أحببت طيبته وبراءته الواضحة، ولقد كان مضحكاً بصراحة.

قلت له بسرعة:

"لدي صديق ينتظر نجدتي.. عضته أفعى سامة.. وإن كنت تعرف طريقة للحصول على ترياق أو مكان الترياق فأخبرني.."

فصمت الرجل للحظة قصيرة، وكان يفكر، بل كان بشكل أدق يراجع عقله ويحاول تصفية ذهنه وإيقاف خوفه، وقد رأيته يبلع ريقه، ويتصبب عرقاً.

فقلت تهدئة لأعصابه:

"لا تخف.. إن نفذت وطاوعتني فلن أقتلك.. وهذا وعد.. سأبقيك حتى النهاية ولكن في نهاية اللعبة سنضطر للقتال"

فتماسك، وجلس متربعاً، بعد أن زفر زفرة عميقة كأنه أخرج فيها كل خوفه، ووضع يديه على الأرض، وحين نظرت إلى سرواله.. كدت أضحك، فقد تبول هذا الرجل على نفسه من الخوف.

لكنني كبتُّ الضحكة، وقلت للرجل بغضب:

"هيا أيها الرجل.. إن صديقي بين الحياة والموت.."

فقال، وكأنه تذكر شيئاً:

"صحيح.. تذكرت.. تذكرت.. حين مررت بأحد الأكواخ القريبة رأيت أدوية على الأرض.. تشبه المضادات الحيوية.. مسكوبة في أوعية زجاجية شفافة.. ولكنني لم أحملها لأن حقيبتي لم تكن تتسع لها.. وكانت مليئة بالطعام..."

فقلت له وقد شعرت بأمل كبير:

"أرجوك.. دلني على الكوخ.. في الحال.. إن ذلك الدواء هو المطلوب..."

فقام الرجل عن الأرض بسرعة وعملية، وجرى مسرعاً يحثني على اللحاق به، وكان في منتهى العملية، كأنه يلمح لي بأنه سيساعدني حتماً ولا ريب في ذلك. فلحقت به واستغربت كم هو سريع، بالنسبة لرجل في عمره.. فقد كان يعدو كفهد.. وهذا أراح نفسي وأثلج صدري.. فأنا بحاجة للسرعة الشديدة في موقف كهذا.. ويبدو أن الرجل

أدرك شعوري.. حين نظرت إليه من الخلف رأيت رسماً لرأس ثور على سترته في ظهره.. إذن فبرجه الثور. لكنني استغربت كيف لم يعثر هذا الرجل على سلاح آخر إلا العصا.

كان الرجل يضع العصا في جيبه وهو يركض، واستطعت رؤية ماسة شفافة في آخر العصا. لقد عرفت أخيراً ماذا تفعل هذه العصا. إنها سبيلمنال للتأثير على الآخرين ببساطة.

كان الجو قد تبدل بشكل مفاجئ.. وشعرت بموجة من البرد.. وكانت عصافير معدتي تزقزق.. وأحسست برغبة عارمة في أن أكون إلى جانب النيران الدافئة وأنا أشاطر شهاب الحديث في حياتي وحياته وفي كل شيء.. فما أبهج الجلوس معه وما أنقى سريرته وما أجمله من صديق..

لقد خفت كثيراً الآن من أن يكون الموت قد افترسه، وشعرت بقشعريرة تسري في أوصالي.. وهناك دمعة سالت من عيني..

عبرت أنا وهذا الرجل بحيرة على متن قارب، وشعرت بأن الوقت ليس في صالحي، وكنت قلقاً للغاية من أن نتأخر على شهاب، فالحياة لا تسير إلى جانب الإنسان في كل مرة، بل إنها تكون عليه في أغلب الأوقات، وخاصة في ظروف حرجة كهذه:

يجب توقع كل شيء وتوقع الأسوأ دوماً. ليس من باب الإحباط بل من باب الحذر والحيطة.

سألت الرجل هل الطريق طويل فقال لي لقد كدنا نصل. ثم سألته عن اسمه فقال أن اسمه عاصم. وذكر لي في الطريق أنه اشتاق لزوجته وابنه وابنته، وكان يبكي أثناء حديثه، وأحسست بإحساسه كأنني هو. لقد كان مشتاقاً إلى أسرته اشتياق القطة إلى فراخها حديثي الولادة، وكان في حركاته رغم عمليته، قلق مضطرب للغاية، غير واثق، لا يشعر بأي طمأنينة، رغم كل محاولاتي في تهدئته، ولكن ولا ريب، فقد كان يعزم أمره على مساعدتي..

كنت أجدف أنا وهو، وكانت هذه تجربتي الأولى في التجديف بقارب في بحيرة.. ورأيت على سطح مياه البحيرة مجموعة أعشاب تطفو عليها، وهناك ضفدع كان ينظر إلي، ومجموعة من أصدقائه يصدرون نقيقاً قوياً. كانت ضفادع صفراء مرقطة بالأحمر، وشككت في خطورتها وأن تكون سامة، فجلد الضفدع من هذا النوع عادة ما يكون ذو سم قاتل للإنسان.

ها قد وصلنا إلى الضفة، وبعد، فإننا تركنا القارب، وأسرعت العدو إلى داخل الكوخ حيث دلني الرجل، وحين دخلنا رأينا القارورة الزجاجية التي كنا نبحث عنها: تشبه جرة

صغيرة، ولكنها شفافة، وعليها مسد خشبي من الأعلى، وكان السائل في جوفها ذو لون دموي إلى قرمزي. فأخذنا العلبة وعدنا إلى القارب قاصدين الرجوع.

12

لأنني أحسست بأنه ساعدني حتماً حتى النهاية رغم قلقه وخوفه، فقد عفوت عن هذا الرجل الذي اسمه عاصم، وتركته بعيداً عن الكهف الذي ينتظرني فيه شهاب لكي لا يعرف مكان اختبائنا.. وأسرعت الخطا بدأب ومشاعر تأكلني كالنار إلى داخل الكهف، وكنت وأنا أبعد النبات المتسلق عن باب الكهف، أشعر بالخوف الشديد في أعماقي من أن أرى شهاب ميتاً..

قفزت كأسد إلى الداخل، فإذ بي أرى من البعيد شهاب ملقحاً على الأرض بلا حراك ولا كلام.. ولا أعرف إن كان نائماً أم ميتاً.. فانتابتني رعشة قوية، وكزّت أعصابي كلها، حتى لقد شعرت بوخزة قوية في دماغي، وتسارعت نبضات قلبي، وانبطحت على الأرض بيدي قارورة الدواء، واقتربت بهوادة من صدر شهاب لأسمع نبضه، وحين أحسست بشيء يدق باعثاً الحياة في داخله، ابتسمت، ابتسامة سرور وغبطة شديدين.. ما زال شهاب حياً ولكنه فاقد للوعي..

فتحت القارورة، ثم وضعتها في فم شهاب الناعم، وشرعت أشربه من الترياق ببطء شديد، وكنت قد تأكدت على الطريق من أنه ترياق، فقد كتب على القارورة من الخلف بالحبر الأسود أنها مضاد حيوي طبيعي ضد السموم والأمراض. وقرأت تعليمات تقول أنه يجب شرب القارورة كاملة على ثلاث دفعات، دفعة أولى، ثم

نشرب المريض الماء ونطعمه شيئاً ما بعد أن يفيق.. وجرعة ثانية بعد أربع ساعات، ثم ماء وطعام، وجرعة ثالثة أخيرة ننهي بها محتوى القارورة. سكّرت القارورة بسدادتها الخشبية، واستويت على الأرض مستلقياً إلى جانب شهاب، وبدأت أدعو الله أن يشفي شهاب، وأن يبث الحياة في عروقه، وأن يعيد بسمته وضحكته وأن يجعلني أتحدث معه مجدداً، وأن ينتهي الأمر على خير وصحة وسلام.

لقد أحسست بالرضا عن نفسي صراحة، فلقد بذلت كل جهدي، وقمت لآكل بعض السمك، ولشرب قليل من الماء، فإنني بصراحة أكاد أختنق من التعب والإرهاق..

***

شعّت عيناي فرحاً، وغرد قلبي من البهجة، عندما أفاقت عينا شهاب على مهل، ورأيته يقب رأسه رويداً رويداً عن الأرض، ونظرت إليه في غبطة شديدة، وارتميت في أحضانه وأنا أقبله وأضمه إلى صدري.. فأخذ يضحك ضحكاته المرحة التي تملأ الجو بالبهجة والسرور، وتسعد روحي. قال بصوت واضح للغاية:

"حكمت.. أخبرني ما الذي حدث قبل أن تخنقني في أحضانك"

فضحكت من قلبي وأخبرته بكل ما حدث بعد أن جلست وإياه متربعين وكل منا وجهه باتجاه الآخر، وكنت أقص عليه ما حدث بسرد حكواتي متمرس: حتى أنني صرت أقوم

بين الحين والآخر وأنفعل وأدخل في الحالة تماما وأن أروي ما حدث، محركاً يدي مثل بهلوان هنا وهناك، مقلداً الرجل الأربعيني المسكين الذي اسمه عصام، بسخرية لاذعة، مضحكاً في ذلك شهاب شديد الإضحاك، وخاصة حين أخبرته أن الرجل تبول في ثيابه من الخوف، عندها كان شهاب سيغمى عليه من شدة الضحك: فأنا حين أسعى لإضحاك الآخرين غالباً ما يحتاجون بعد ذلك إلى حبوب مهدئة لكي يستطيعوا النوم ونسيان ما قلت لهم، وإذا نويت على سخرية من أحد.. فإنني أدعوا لله أن يغفر لي قبل ذلك وأن يسامحني إذا أخطأت أو اقتربت من اللغو والتفاهة في ذلك.. ولكنني عموماً لم أكن أجرح أحداً في نبرة صوتي، ولا في طريقة كلامي، وكان الجميع ممن يجلسون معي يقولون لي أنني مضحك بطريقة صافية، فالنوايا هي التي تحكم في النهاية على كل شيء.

بعد جلسة الضحك هذه، أشربت شهاب الماء وأطعمته قليلًا من السمك، لأنه لم يكن قوياً على الحراك جيداً بعد، وقال لي أنه يشعر بخمول شديد في جسده، وشكرني شديد الشكر منفعلاً قائلًا:

"هل تصدق يا حكمت أنه لم يقم أحد بفعل ما فعلته لي وأنني لو بقيت كل حياتي أدعو لك فلن أعطيك حقك"

فابتسمت بمكر وقلت:

"هذا مجرد دين عليك.. هذا يعني أنك ستضطر للدفاع عني في أوقات الشدائد وأن لا تتخلى عني حين أقع في مصيبة.. لا تظن أنني قدمت لك ذلك بالمجان"

وشهاب كان ينظر في وجهي، مدركاً أنني لا أقول ما أشعر به حقاً، فضحك ضحكة عميقة وهو يفتح فمه على آخره.

وأعتقد أن علاج الضحك، بالإضافة للترياق، والماء والطعام، سيكون كافياً ليعيد شهاب قوياً كما كان، وأعتقد أنه سيستيقظ غداً سليماً معافى، قوياً ضد أي سم مجدداً، فكما تعلمون: إن التعرض لسم ما مرة واحدة يكفي لإكساب الجسم مناعة قوية ضده في ما بعد. بعد نصف ساعة من الحديث والضحك سألت شهاب السؤال الذي نسيت أن أسأله إياه حتى الآن، وكان سؤالاً عجيباً غريباً:

"أخبرني يا شهاب لماذا يصفون برج العقرب بأنه حقود وندل؟ وأنا أراك أمامي عقرباً شهماً ظريفاً مخلصاً ووديعاً..."

لم يكن شهاب سيموت من الضحك مثلما هو الآن، إذ ارتمى على ظهره وأخذ يتقلب، حتى خفت عليه أن يموت ويكون كل تعبي في علاجه قد ضاع سدى.

وطال حاله ذلك لنصف لدقيقة كاملة حتى عاود الجلوس، والكلام بشكل طبيعي. ولا أدري لماذا حتى النكت العادية بدت مسلية لنا جداً، بل قاتلة إلى حد الجنون.

قال أخيراً.. مع رغبة في الضحك يحاول كبتها:

"هناك عقارب جيدة وعقارب سيئة.. مثلما هناك حملان وديعة وأخرى خبيثة"

فابتسمت بمكر، متقبلاً هذه الإجابة، وقلت:

"هذا تفسير منطقي.. منطقي جداً.. إذن فإن تلك الفتاة التي سعت لتسميمي كانت عقربة سيئة.. وأنت الذي أنقذتني منها من الموت فإنك عقرب جيد.. فهمت بوضوح" وهذا الكلام البديهي الساذج، جعل شهاب يضحك مجدداً أيضاً ويعيد نفس عمليات الضحك الانتحارية.. حتى كدت أقول أن هذا اليوم كان أكثر يوم ضحكت فيه في حياتي كلها، وبعد دقائق، قلت لشهاب أنني سأنام من شدة تعبي.. وأن يظل هو مستيقظاً فهو بحاجة لجرعة ثانية من الدواء، فوعدني بأنه سيفعل ما أمرته به، ونمت على جنبي على طراحة مريحة، ووسادة ناعمة للغاية شعرتُ كأنها من ريش النعام، وكان الجو الدافئ في الكهف ينعش جسدي ويشعره بالأمان.

***

لم أصدق أنني استيقظت في الصباح دون أن أقوم بأي مناوبة على صحة شهاب، ولم أصدق أنه قال لي بأنه لم ينم البارحة، فقط لكي يريحني من العناية به، وأنه تعمد ألا يصدر أي صوت أثناء نومي، وأن يعتني بصحته بنفسه، وأن يشرب ويأكل ويأخذ

الجرعتين الباقيتين من الدواء بنفسه أيضاً. لقد كان تصرفاً نبيلاً للغاية منه، وطيباً أكثر من اللازم، وقد عنفت شهاباً حين استيقظت وأخبرته بأنه فعل ما هو ليس بصواب، وأنه كان عليه أن يوقظني للعناية به، فغمغم مبتسماً:

"لم أرد لك أن تبقى دون نوم، أما أنا فمتعود على قلة النوم يا صديقي ويمكنني البقاء صاحياً لثلاثة أيام متتالية"

وقد أبهرني هذا الكلام، فقد كان يقوله بشكل جدي. أنا كنت أحب السهر ولكن لا يمكنني التوقف عن النوم لمدة ثلاثة أيام كما يقول، فهذا ضرب من الجنون، إلا إن كان يعمل قاتلاً مأجوراً مدرباً أو في أعمال شاقة، أو أنها طبيعته.. في مطلق الأحوال فإن هذا الأمر غريب للغاية.

لقد خرجنا من الكهف سوية ودخلنا في غابة كبيرة مليئة بأشجار الفاكهة مثل التفاح والإجاص، والشجيرات مثل الكرز والتوت، وكنا نتسلى بالكلام وتناول الطعام وتجريب مختلف هذه الأصناف. وحين اقتربنا من أشجار الموز وتناولنا الموز هناك، شعرنا بأن الموزة مختلفة تماما عن الموزة العادية، فكانت ألذ بكثير وأغنى بالطاقة، إذ شعرت أنا وشهاب بنفس الشعور، وهو طاقة كبيرة للغاية، بل تكاد تكون هائلة، حتى أننا شعرنا بالسعادة وزال القلق والتوتر. لم أستطع تفسير الأمر إلا أن هذا الموز غير طبيعي وبالتأكيد فإنه قد أضيفت إليه مواد مركزة ما، تقوي التستسرون عند الرجال،

والأستروجين عند الإناث، وهرمون السيراتونين الذي يزيد مستوى السعادة أيضاً. لقد أطرى شهاب على معلوماتي القيمة، بابتسامة ساخرة، وهو يتناول الموزة العاشرة بلقمة واحدة.

بينما كنت أنا أراقب المكان بحذر، فقد اعتدنا على ذلك في هذه المعركة التي من لا يحذر فيها نصيبه الموت.. فقد رأيت من البعيد أشكالاً تبدو كأنها لأناس بجماعة كبيرة قادمين.. كانوا بعيدين جداً، فأومأت لشهاب لكي يختبئ معي بين شجيرات التوت. وقد انبطح على الأرض مثلي واختفى بين أغصان وأوراق الشجيرة، وكانت عيناي وعيناه تتابعان هذه الجماعة وهي قادمة من البعيد...

أما حين اقتربوا: فقد بدا كل شيء واضحاً الآن، ولكن أعيننا توقفت مذهولة عند هذه المناظر، مستغربة، غير مصدقة، أن شيء مثل هذا حاضر أمام أذهاننا. لقد شعرت بقشعريرة وكأنني أسقط على كومة ثلج في صحراء كبيرة.. ثم أغرق في ثقب في الثلج وأتجمد هناك.. أما شهاب فكاد يطلق صوتاً يفضحنا من فمه من الدهشة ولكنني حبست فمه براحة يدي.. لقد كانت هذه الجماعة عبارة عن أربعة أشخاص: ثلاثة شباب وفتاة، وهؤلاء كانوا يرتدون الملابس، أما الذي أدهشنا هو أن كل منهم يمشي أمامه إنسان عار تماما.. على الأرض مثل كلب عبودية خاص، بل إنه كلب عبودية خاص قطعاً، وكان كل من هؤلاء المستعبدين مكبلاً بالسلاسل، ومطوقاً حول رقبته

تماماً ككلب، أما الأربعة الذين تحدثنا عنهم، فهم الذين يمارسون العبودية على هؤلاء الأربعة المستعبدين. لقد كدت أجن تماما من روع هذا المشهد القاسي، ولعمري لقد بكيت، ودمعتي الصامتة سالت، لتتجلى، مشاعر وأحاسيس الموت التي أحس بها في هذا الحين. قمة الألم أن ترى إنساناً يستعبد إنساناً آخر ويتسلط عليه ويعريه من ثيابه ويجره أمامه مثل كلب، لقد صرخت في داخلي أن هؤلاء أوغاد ويجب القصاص منهم في الحال.. وغلى الدم في عروقي واشتهيت أن أهجم عليهم فلا أترك فيهم أحداً، وأعتقد أن شهاب يشعر بنفس شعوري وربما أكثر.

ما الذي يدفع الإنسان إلى أن يحب ظلمه لأخيه الإنسان؟ طوبى لكل إنسان يقدر دمعة وقهر إنسان آخر في هذا العالم، واللعنة على كل من يستلذ بعذاب أخيه الذي لم يؤذيه قيد أنملة.

ها قد مرت الجماعة من أمام أعيننا دون أن يروننا، وهم يشقون طريقهم لا أدري إلى أين، ولم أستطع تحمل كونهم جماعة كبيرة فلن أستطيع التغلب عليهم مع شهاب وحدنا. هؤلاء السفلة الأربعة: الشباب الثلاثة والفتاة الحقيرة.. يقومون بالتحرك كمجموعة واحدة، وهؤلاء الذين يستعبدونهم هم مشتركين بالتأكيد، وبدل أن يقتلوهم اختاروا تربيطهم وتعريتهم وسلبهم كرامتهم، واتخاذهم كعبيد للتسلية والإمتاع

الشخصي. يا لهذه الدناءة التي لا تحتمل، كم من بشر في العالم يشبهون هؤلاء يا ترى؟!

همس لي شهاب:

"أرأيت هؤلاء الأوغاد؟ انظر.. انظر هذا المشهد المستفز..."

شعرت وكأن شهاب سيموت إن لم ينقذ أولئك الأربعة منهم، بل كان يغلي من الألم، وقال لي كأنه يرمي يميناً:

"أعدك يا حكمت.. بحق هذا المشهد الذي رأيته أن أقتص منهم واحداً تلو الآخر.. هؤلاء الأوغاد.."

قلت له أهدئه، مدركاً حساسية الموقف:

"اهدأ يا شهاب اهدأ.. ألا ترى أنهم جماعة.. ولن نغلبهم بمفردنا أنا وأنت.."

فبصق شهاب على الأرض متذمراً وقال:

"اللعنة... تبا لهم"

وكانت الشمس قد أشرقت بوضوح الآن، وتسللت من خلال الأعشاب والشجيرات إلى أعيننا. وكان شهاب يخطط في باله لشيء ما، وشعرت أنه يدبر خطة للإيقاع بهم.

لقد هبت نسمات داعبت شعري ووجهي بطلف، رغم شعوري بالقهر الشديد والرغبة في إنقاذ أولئك المستعبدين المستضعفين.

13

منذ لحظات قليلة كان قيس يستجمع كل قواه الجنسية والشهوانية، متخيلاً، مشاهد تغرق في عالم الاغتصاب، ونكاح الدبر، والمحارم، والشذوذ، ومضاجعة الجثث، ومضاجعة الحيوانات. لقد استرجع في ذاكرته القوية، كل المشاهد التي يفضلها، وهو يجر كلب عبوديته الإنساني الخاص، أمامه، وفي كل مرة تتاح له الفرصة، فإن قيس يركله على مؤخرته العارية، بحذائه الذي ركّب عليه إبرة صغيرة، فكان كلب عبوديته يصرخ متأوهاً متألماً، طالباً المغفرة من سيده، للمرة الألف.

بمشاعر تشوبها النشوة، نظرت هيلين إلى حبيبها قيس، نظرات ممتلئة بالحب، ليس حباً عادياً، بل حباً من نوع خاص للغاية: يغرق في الشهوانية إلى آخر حد.

وأما أحمد ونادر فكانا يتشاجران في ما بينهما بصوت عال، عن أمر مهم جداً: من سيأخذ الفتاة ككلب، ومن سيأخذ الشاب ككلب. إذ كان أحمد يجر أمامه فتاة شابة عارية وجميلة، ككلبة عبودية. ونادر كان يجر أمامه شاباً، عارياً، ولكنه غير جميل، ككلب عبودية أيضاً. فلم يعجب نادر إطلاقاً بكلب عبوديته الخاص وأراد تبديله في أقرب فرصة، وتمنى أن يرى مشتركاً ويتغلب عليه ويأسره في أقرب فرصة: على أن يكون جميلاً في الجسد، ووسيم الوجه، ولا فرق إن كان شاباً أم فتاة.

قيس الذي كان برجه القوس، كان مستلذاً للغاية، أكثر من الجميع، فهو قائد المجموعة، وكان كلب عبوديته هو الأجمل، على الإطلاق، من بين كلاب العبودية الأربعة في المجموعة.

تتدلى من كتفي قيس، دروع جميلة، حمراء اللون، وجذعه كان عارياً إلا من شريط أحمر صغير يحوط الصدر العلوي، وكان يرتدي جزمة حمراء، كحذاء، تنتهي بإبرة صغيرة. وأما السروال فكان أسوداً مخططاً بالأحمر، كأنها خطوط تراب مزروعة بالبندورة الحمراء.

وفي كل حين، كانت هيلين، تطبع قبلة على شفتيه، وكان ينتشي، ثم يركل كلب عبوديته، متيحاً لكل قدرة قلبه على القسوة، أن تظهر جلية الآن. فهذه اللعبة فرصة لا يكررها الزمن، لفعل أي شيء لم نستطع فعله في الواقع.

قالت هيلين، بينما ركلت كلب عبوديتها بحذائها:

"أحبك يا قيس.. أحبك..."

فقال لها قيس أنه يحبها، وقد ركل كلب عبوديته أيضاً، ركلة قوية للغاية، حيث انبثق الدم من مؤخرته بشكل كبير... وتألم كلب العبودية بصوت قوي للغاية، وتحشرج.

آه أيها الإنسان كم حجم ما مات فيك حتى أصبح يؤذيك أن ترى أخيك الإنسان سعيداً.. ويبكيك أن تشاهد نفساً بريئة تشعر بالبهجة.. ولا ترضى إلا بسلب الناس كرامتهم، بل تستلذ، كلما عذبتهم وضربتهم، وقتلت فيهم الرغبة في الشعور بالحياة.

هل الحياة سحر غامض؟ أم برزخ ما يفصل بين الألم والسعادة؟ بين الذل والكرامة؟ بين الحب والكراهية؟ هل كانت مشاعر الإنسان وحدها تعبر عما بداخله أم هناك شيء آخر أكثر تعبيراً، شيء يغرق في الظلمة، كحجر عتيق، كزمرد، كزبرجد، يشع منه الموت والشعور بالأسى.

عادت الذاكرة المتقدة بقيس في هذه اللحظات.. إلى تلك الأوقات حين تعرف على هيلين.. في المدرسة.. وحين كان يقوم بدور رئيس عصابة لشباب يقومون بالتنمر على الشباب والبنات الضعفاء، وكم كان يستلذ بتلك الآيام، سوية مع أحمد ونادر وهيلين. كانت المجموعة توصف دوماً بأنها عصابة، وكان أي شاب ضعيف يراهم في الطريق يهرب منهم في الحال، وأي فتاة ضعيفة كانت تسرع وتختبئ في أي مكان، ولم يستطع أحد إخبار الموجهين بذلك.. لأن قيس وجماعته عصابة مافيا بكل معاني الكلمة، كان والده يعمل سياسياً شهيراً، من أولئك الذين يشترون الشهادة بالمال، والعلم بالمال، وممتلكات غيرهم بالمال، وكل شيء تقريباً بالمال. لقد استغل قيس سلطة أبيه استغلالاً تاماً، ونكّل بعدد كبير من الفتيات، واغتصب بعضهن، وعذب

الكثير من شباب مدرسته، إما بحرقهم بسيجارة التبغ في أياديهم وترك بثور لا تندمل، أو بالتنمر عليهم طيلة الأسبوع حتى يدفعهم إلى الانتحار، وكان يفعل ذلك بابتسامات لا يكللها أي شيء من الحزن، وأي شيء من عذاب الضمير، وساعده في عمليات تنمره أيضاً جسده القوي الطويل والعريض.

وحين اتخذ من نادر وأحمد أصدقاء له، ومن هيلين عشيقة له، كان قد اختار الصواب وما هو مناسب تماما لشخص يريد إرضاء متعته الشخصية، ويريد النفاد من الحياة بأكبر عدد ممكن من الاعتداءات على الناس وتحقيرهم وإذلالهم والتنكيل بهم.

أحمد الذي ينتمي إلى سلالة برج الجوزاء كان يحب المغامرة الشرهة، التي تتيح العنان لأي فعل جديد ومتنمر بالظهور، وكان يبتكر أفكار سادية جديدة يبهر بها زعيمه قيس، ويجعل ابتسامة هيلين الصفراء تغرد مثل بلبل ساديّ. فكان يقترح عليهم ضرب الضحية بحزام مكسو بالأشواك، ووضع الملاقط على أعضائهم الذكرية والأنثوية، وحقن إبر الماء في دمائهم كنوع من الحرب النفسية، وتعليقهم على الأشجار بحركات مبتكرة ومثيرة، وغيرها الكثير.

أما نادر الذي يعد من سلالة برج الجدي، فكان نادراً في أفعاله حقاً: إذ كان الأقوى والأقسى في التعذيب إطلاقاً، وكانوا يعطون الضحية له في النهاية وليس في البداية.. حتى لا يعيدها لهم جثة بلا حياة.

***

رفع قيس يديه في السماء بحركة قيادية: تعني للجماعة توقفوا. فتوقف الجمع الغفير وسط غابة أشجار طويلة، وكانت هناك أمامهم حرشة من الحشائش، تبدو لأعشاب اقتلعت لأنها يابسة، أو أن الأرض نفسها صارت يباب بسبب شح الماء. وكان قيس ينظر بنوايا غير طيبة إلى العبيد الأربعة. حدق نادر في عيني قيس وقال له بصوت قوي:

"هل تخطط لعمل ممتع يا قيس..؟؟ أخبرني.. أخبرني.."

وتلهف الجميع وهو ينظرون في عيني زعيمهم، اللتان تبدوان عيني شخص مجنون تماما: كان قيس يمتلك ملامح غليظة، إذ يقشعر بدن كل من يرى شكله، لم يكن قبيحاً أبداً بل كان وسيماً، ولكن الغلاظة سمة تقتل الوسامة في الرجال، إذ يبدو قيس للناظر إليه كشخص يجمع شرور الكون كلها في نظرة عينيه الغامضتين، الثابتتين، اللتين لا تنمان عن أي مرح روحي، بل هناك مرح واحد عند قيس لا ثاني ولا ثالث له، وهو المرح الجسدي.

قال قيس، مطلقاً قنبلته المثيرة:

"ما رأيكم أن نضع كلابنا الأربعة هناك في أرض الحشائش.. ثم أطلق عليهم سهماً نارياً من قوسي.. فيحترقون ويتلوون من الألم ونحن نشاهدهم من بعيد ونضحك"

ابتسمت هيلين مستمتعة، وقالت بحماس:

"أو.. رائع.. هيا.. هيا.. لا أصدق متى أرى ذلك"

وانقطع قلب العبيد، وصاروا يصرخون "النجدة" بكل يأس وقنوط. كان العبد الأول محروق الأنف والأذنين، وهناك كدمات تحيط برأسه، وكدمة زرقاء كبيرة جداً عند فمه، أما العبد الثاني فكان مملوء بالدماء من أسفل قدميه وحتى أعلى رأسه، أما الثالث فكانت مؤخرته قد نالت الجزء الأكبر من الكدمات والدماء، وأما العبدة الأخيرة فكانت تلفظ أنفاسها الأخيرة، وتتقيأ في كل حين. مع العلم أنها أصيبت بالإسهال منذ فترة وجيزة لأنها لم تستطع تحمل هذا الكم الهائل من العنف والضرب.

صار قيس يضحك ويقهقه، مع عصبته، وكانوا يضربون كفوفهم ببعضها في الهواء فرحاً ونشوة. وبعد دقيقة، كبل قيس العبيد الأربعة بالسلاسل هناك في أرض الحشائش اليابسة، حيث ربطهم على شجرة جذعها قوي للغاية، وكانوا يصرخون، متوسلين، على آخر نفس من أنفاس حياتهم.

تقدم أحمد في محاولة نادرة منه، وقال للزعيم:

"قيس.. ألا ترى أننا بالغنا جداً.. أرجو أن لا تفعل ذلك.. دعهم.. دعهم.. لقد استمتعنا بما فيه الكفاية.. إذا أردت قتلهم اقتلهم دون أن يتعذبوا.."

فنظر قيس، ونادر، وهيلين إلى أحمد في صمت بليغ، ثم ضحكوا ثلاثتهم ضحكات وكأنها طلقات كلاشنكوف، سخرية، واحتقاراً لكلام أحمد.

وقالت هيلين:

"صوت الضمير الصاحي.. اهئ.. اهئ.."

وقهقهت ضاحكة، تبعها في القهقهة قيس الذي مد لسانه كثعبان نصف متر أمامه. وأما نادر فكاد يقلب على ظهره من الضحك.

حمل قيس قوسه الأحمر البديع عن ظهره، وقبل أن يوجهه إلى أرض الحشائش.. أصابت يده رصاصة مجهولة فذُعر وشعر بألم شديد ورمى القوس من يده، ونظر إلى يده فرأى أنها تهشمت بتأثير الرصاصة والدماء تنزف منها بقوة، وبدأ الألم يتزايد بحدة.

بينما هُلع باقي أفراد العصابة وهم ينظرون حولهم ليحددوا مصدر الرصاصة، فإذ بشابين طويلين، أحدهما نحيل والثاني عريض المنكبين، يدخلان الساحة وهما يوجهان الرشاشات باتجاه أفراد العصابة.

لقد كانا حكمت وشهاب. الأول كان يرسم ملامح جادة للغاية، تندد بالانتقام الشديد، والثاني كان الشرر يتطاير من عينيه بغضب عارم يكاد يحرق الأرض تحته.

ارتعب قيس وعصبته، ورفعوا أيديهم في الهواء، باستثناء قيس الذي ارتمى على الأرض منذ لحظات وهو يتألم ويوجع ويتقلب، ويتوسل أن ينقذه أحدهم من هذا الألم الرهيب.

قال شهاب وهو يرمي إلى العصبة بنظرات احتقار شديد:

"ألا تتقون ربكم؟ ألا تعرفون أن هناك إله سيحاسبكم على ما تفعلون؟ بأي ذنب تعذبون هؤلاء الناس وتحولونهم إلى عبيد..؟!"

فقال له حكمت، وأعينه تتطاير بشرر الحق:

"هؤلاء لا ضمير فيهم يؤنب، ولا عقل فيهم يفكر، ولا روح فيهم تحس بغيرها، فالكلام معهم لا ينفع يا شهاب"

لم يجرؤ أحد من العصبة على قول أي شيء، واكتفوا بالنظر في وجوه بعضهم البعض في خيبة عظيمة، فلم تنفعهم الآن لا متعتهم الشخصية، ولا تنمرهم المستمر على المستضعفين، ولا رغبتهم العارمة في تحقيق شهواتهم المريضة.

وبعد تقهقرهم: سارع شهاب وأطلق عليهم بالمسدس، وكذلك حكمت وأطلق عليهم بالرشاش، وتناثرت دماؤهم وسقطوا على الأرض جثثاً هامدة، مودعة، الحياة التي لم يقدّروها، والبهجة الروحية الصافية التي لم يشعروا بها يوماً، والأفكار والأحاسيس الخالدة، التي لم يفكروا ويحسوا بها.

كان الأمر أشبه بأربعة أعواد ثقاب اشتعلت كثيراً، أكثر من اللازم، ثم انطفأت إلى الأبد.

ركض حكمت وشهاب إلى أرض الحشائش، وساعدوا الأربعة على التخلص من القيود والسلاسل، وفكوا الأطواق التي تقيد رقابهم، وكان هؤلاء الأربعة خجلين للغاية، ولكن شهاب وحكمت لم يظهرا إطلاقاً أي تعابير شفقة على وجوههم تجاههم، حتى لا يشعروهم بالنقص، كأنهم يقولون لهم أن كل شيء انتهى وأنتم الآن سالمين آمنين، وقد لمعت على وجوه هؤلاء الذين كانوا عبيداً منذ قليل، علامات الفرحة، كأحجار زمرد تبرق في أعينهم. وصرخت الفتاة:

"شكراً لكم يا شباب.. شكراً لكم.. من قلبي.. أنقذتموني"

وكانت تبكي، بدموع صامتة، مقهورة.

فابتسم لها حكمت ابتسامة لا يمكن القول عنها إلا أنها ابتسامة ملائكية.

بينما صرخ الشباب الثلاثة بكلمات الشكر، وبعثروها هنا وهناك حتى صارت غير مفهومة، وكل منهم عاجز عن البكاء، وبدا أنهم تعرضوا لصدمة نفسية كبيرة، فكانوا غير قادرين على البكاء أو حتى الكلام بشكل واضح.

حكمت:

"لا تقلقوا يا رفاق.. كل شيء بخير الآن.."

وأخذ حكمت يتسلق الأشجار ويقطف الأوراق الكبيرة، وساعده في ذلك شهاب، ثم ربطوا هذه الأوراق بالحبال لكي يصنعوا منها ملابس تكفي هؤلاء الأربعة حتى يجدوا ما يلبسونه.

وفي معزل عن الأربعة الذين تعرضوا للعبودية.. قال حكمت لشهاب، بأعين تخترقها الطيبة والشفقة:

"شهاب.. يجب أن نأخذهم معنا إلى الكهف.. لا نعلم ما قد يحصل لهم. .بالتأكيد هم بحاجة للغذاء والماء والعناية.."

فقال شهاب مؤنباً حكمت بقوة:

"لا.. لا يا حكمت.. لن أسمح لك بذلك.. هذا سيعرضنا للخطر، وسيكشفون مكاننا حين يذهبون ويعودون لقتلنا"

وتطور الشجار بين حكمت وشهاب، حتى كانت الكلمات بينهما قاسية للغاية، وأخذ أحدهما يشتم الآخر بأنه غبي، والآخر يشتمه بأنه جبان، ولكن، في النهاية، قرر حكمت الانصياع لأمر شهاب، بأن لا يسمحوا لأحد بدخول الكهف، وذلك بعد تفكير حكمت بالأمر وتقليبه في عقله: فقد أدرك أن المشاعر لا تنفع في لعبة كهذه، وأنهما قاما بما هو عليهما، وحررا الجماعة من العبودية، وهذا وحده كاف وربما هو أمر لا يقوم به أحد آخر غيرهما في كل اللعبة.

فودع حكمت وشهاب الجماعة، بعد أن تلقوا شكرهم البليغ مجدداً، وذهب كل في طريقه.

14

بالرغم من تعاسة الجو وتقلبه من المشمس إلى الغائم تماما، حتى شعرنا بالبرد، فإننا كنا مسروريَن، فهذه الراحة التي يشعر بها الإنسان بعد مساعدة إنسان مظلوم ترفع معنوياته وتشعره بقشعريرة مريحة ومطمئنة للغاية. ولكن، وبينما أنا وشهاب نسير في طريق الغابة عائدين إلى الكهف.. سمعنا أصواتاً مرعبة، مفزعة، لدرجة أننا كدنا نقع على الأرض من الخوف، واقشعرت أبداننا، وتسارعت نبضات قلبي. لقد استغرقنا بعض الوقت لتدرك عقولنا أن هذا الصوت كان للرعد، لعمري لم أر ولم أسمع رعداً قوياً كهذا من قبل. صرخ شهاب صرختان متتاليتان، منقطعتان، وصرخت أنا: كان الأمر غريباً للغاية فكل شيء حولنا تحول للون الأسود وكأنه لوحة زيتية، وما عدنا نرى أمامنا إلا غربان تطير وتنعق بقوة، شعرت أن الموت قريب ووشيك، كأن كل طاقات العالم السلبية تلتهم روحي وتأكل قلبي وتمتصه. رأيت قططاً سوداء تعبر الطريق وتنظر إلينا بأعين ذهبية، كأنها تتخيل، طريقة موتنا. أحسست بأن ذاكرتي توقفت عن تذكر أي شيء في حياتي الماضية، وكانت الجبال قد طليت تماما بلون الدم، فكانت قرمزية، ورؤوسها كأنها رؤوس لأناس ماتوا منذ زمن بعيد، تلالها مكسوة بالجماجم الكبيرة ذات الأسنان مرعبة الشكل، والعظام كأنها بنيان مرصوص.

أخذت أركض وشهاب سوية، ولم نستطع الكلام، فلا شيء حالياً يمكن التعبير عنه بالكلمات. وقفنا للحظة نتأمل مشهد الأموات الأحياء القادمين من هناك.. حيث الوادي.. كانوا يصعدون من الوادي باتجاهنا، تكسو أوجههم عبرات العالم الآخر، بقع خضراء على وجوههم الرمادية وسحناتهم البيضاء، شعرهم الأبيض يتلألأ كلؤلؤ في أعماق البحر الكاريبي، كأنه ينادي، بطاقة ميتافيزيقية، أرواح من ماتوا وما زالوا أحياء. لقد صرخت وكزت أسناني من الرعب، وشعرت كأنني أطفو على صفحة من الأشواك برجلين عاريتين، مدركاً، أن الإنسان لا حول له ولا قوة. ها هو صوت رعد آخر، وارتعبت مجدداً وارتميت في حضن شهاب، وكذلك شهاب ارتمى في حضني، وأخذنا نحضن بعضنا، لعلنا نتمكن من احتواء تلك الطاقة الجنونية المرعبة.

كل شيء يلمع ويبرق.. سمعنا أصوات انفجارات.. يكاد غشاء الطبل في آذاننا يثقب، ونحن نسمع، حشرجة الناس الذين كانوا مكان الانفجارات، ونتأمل، بأعين شاخصة، من البعيد، كيف ينتقل من كان على قيد الحياة إلى سبات الموت.

ركضت وشهاب.. في طريق العودة.. وقد استجمعنا كل قوتنا.. لنهرب من هذا الجحيم المطلق.. الذي لم نعرف حتى الآن ماهيته، وكيف حدث في شكل صادم وفجائي.

إلى حد مبهر.. تمكنا من الدخول في كهفنا.. وأخذنا ننظر، كلصوص، من بين أوراق النبات المتسلق، إلى المعركة في الخارج. فرأينا وحوشاً ضارية تلتهم البشر، وكادت عيناي تخرجان من محجريهما، وهما تشاهدان، بألم، خيوط الدم القرمزية التي تنبثق كشلال من أحد المشتركين بينما يلتهمه وحش بأسنانه اللؤلؤية الحادة.

لامست يد شهاب فشعرت برعشاته، ووقف شعرنا، ونحن نشاهد، فتاة حسناء جميلة، ترتدي عباءة بيضاء، وهي تتناول بلقمة واحدة، شاباً من المشتركين.. حيث انفتح فمها ليصبح أكبر من جسدها نفسه، مبرزاً حويصلات لسانها الكبيرة، مفرزاً اللعاب من فمها على الأرض، لتبتلع ذلك الشاب الذي كان يصرخ صرخاته الأخيرة منادياً أمه وأبيه، غير مدرك، أن حاصد الأرواح لا يطلب الإذن من والديّ من يريد حصد روحه.

إن أعيني نافذة البصيرة، وعقلي كالنار يتقد، ورغم ذلك، لم أشك إطلاقاً، بأن ما أراه حقيقة مجردة. لم يسعفني فمي للكلام، وشهاب بقي صامتاً، مشاهداً، وعيناه المشعتان، كحجري تورماليم مرصعان بألماستين زرقاوين.

***

(بعد عشرة دقائق تماما من موجة الموتى الأحياء):

لقد انتهى الآن كل شيء، وكأنه فص ملح وذاب، وعادت الشمس مشعة في السماء، وكنت أسمع وشهاب تغريد العصافير حتى ونحن في الكهف. كان شهاب ينظر إلي بصمت، ويتأمل، ويتخيل، كأنه يتكلم، ولكنه صامت تماماً. حتى أنا فعلت الشيء نفسه، وأخذت أنظر إليه، في دهشة، ليس منه، بل من كل ما حدث دفعة واحدة.. أشياء لا توصف ولا يمكن تخيل حتى أنها موجودة.. رأيناها بأم أعيننا.

قلت لشهاب، أخيراً، قاطعاً الصمت:

"شهاب.. ما تفسيرك..."

فركع شهاب على الأرض، من الإرهاق، وركعت بدوري، من الإرهاق أيضاً، واستمرينا التحديق في بعضنا البعض.

أجل لقد انتهى كل شيء، اختفت الوحوش، والموتى الأحياء، والسحرة والمشعوذون اللذين يجوبون في الخارج، جميعاً في لمح البرق، بعد أن قاموا بمجزرة صغيرة في الجوار.

قال شهاب، بصوت واضح، متغلباً على الصدمة:

"هل كل ما رأيناه حقيقي؟ أرأيت شيئاً كهذا من قبل يا حكمت؟"

فابتسمت، وقلت:

"لا.. لم أر شيئاً كهذا.. مستحيل.. هذا أمر مستحيل.. الموتى الأحياء لا وجود لهم.. السحرة لا وجود لهم.. المشعوذون خرافة وأسطورة.."

لقد ظننت وشهاب أن يكون هذا كله حلماً، ولكننا صرنا نلكز بعضنا البعض، فحين أحسسنا بالألم، أدركنا أنه ليس حلم، وأخذنا نتجادل لنفسر شيئاً مما حدث. فوصلت إلى نتيجة مفادها أن هذه اللعبة فيها نظام ذكاء اصطناعي خادع بالتأكيد، وأنه، رغم واقعية كل ما رأيناه، ربما هو لا يتعدى كونه وهم صنعته آلة للتلاعب بنا.. ولكن.. إذا خرجنا في الخارج ورأينا الناس الذين ماتوا قد ماتوا فعلاً.. فهل سيكون هذا التفسير صحيحاً...؟!

بشعور مرعب للغاية، نفذت أنا وشهاب وخرجنا من الكهف، وصرنا نتجول هنا وهناك، ورأينا بأم أعيننا، جثثاً لمشتركين كثر، وقطع أشلاء مبتورة منهم، ودماء تلون سطح البحيرة الكبيرة التي تحيطها أشجار الأكاسيا البنية والخضراء: هذا ليس وهماً بل حقيقة.

إذن فلم يكن هناك حل إلا أن نتقبل أن ما رأيناه حقيقة ملموسة.

وتابعنا سيرنا للبحث عن الطعام، وكانت الرياح قد أصبحت عليلة، والجو مناسب لحفلة شواء، بعد صدمة مدتها عشر دقائق شعرنا وكأنها سنوات. ذهبت وشهاب إلى البحيرة وعلمني هناك كيفية صيد السمك الصغير باليد.. إذ كنت أنتشل السمكة وهي

تسبح، بيدي الواحدة، بسرعة وإتقان: كما كان يفعل اليابانيون في عصر ميجي. وقد استغرق الأمر مني وقتاً حتى تعلمت ذلك، لكنني سررت وضحكت كثيراً مع شهاب وأنا وأتعلم، وتمكنت من صيد سبع سمكات، بينما شهاب صاد أكثر من عشرة. وبعد، فإننا تجولنا بين الأكواخ القديمة، ومن حسن الحظ فإننا لم نر أي مشترك، ولم نصادف أية عقبة، وجمعنا علبتي ترياق للاحتياط، ومشروبي قهوة بالحليب، يبدو أنهما قديمين منذ البارحة ولكن لا بأس بهما. ثم مررنا بغابة من أشجار الفواكه وقطفنا عن الأشجار ثمار الإجاص والموز بما يكفي لحاجة يوم كامل. ثم عدنا ونحن نتكلم ونتسلى، وكان الجبل من خلفنا كلوحة فسيفسائية مشبعة بالألوان، يطغى عليها اللون الأصفر، والغيوم البيضاء فوق الجبل تصنع شكلاً لخروف يريد أكل عشبة صغيرة.

دخلنا كهفنا مجدداً، وأحكمنا إخفاءه بأغصان وأوراق النبات المتسلق.

15

حين دخلت وشهاب الكهف، الذي صار موطناً لنا، شعرنا بالأمان أخيراً، واستلقينا على الأرض، حيث فرشنا حصيراً وضعنا عليه بطانيتين مريحتين، ووسادتين ناعمتين، ولم يكن قد حل المساء بعد، وأعتقد أن الساعة تشير إلى الثالثة أو الرابعة بعد الظهر، بيد أنه لا يوجد هنا أي ساعة، ولم نعثر على ساعة للتعرف على الوقت منذ أن وصلنا الجزيرة وحتى الآن، فإننا تعودنا على تحديد الوقت من خلال النظر إلى قرص الشمس في السماء وتخمين الساعة بالتقريب.

كان المكان هادئاً للغاية، إذ أصبح الكهف وطناً للذكريات، بصخرته الكبيرة والعميقة، ذات اللون الرمادي الأقحواني، ورائحته التي تتخللها رائحة التراب، ورائحة حياة الحشرات ودود الأرض والعناكب والعقارب، برغم وحشية ذلك، إلا أنه بدا مثيراً للغاية، حتى أنني وشهاب نشترك في أمر أننا لا نخاف من العقارب والعناكب، إلا إذا شاهدنا نوعاً جديداً لم نر مثله من قبل، بل أصبحت وهو، متعودين على النوم برفقة عقرب تحت البطانية، أو عنكبوت كبير يتسلق زاوية من زوايا الكهف وينظر إلينا كأصدقاء.

ولكن الغريب الآن، أننا بمجرد أن جلسنا، ولأول مرة يحدث ذلك، فقد رأينا أكواماً من الكائنات تأتي من كل زاوية ومن كل جهة في الكهف: أكوام حشرات تبدو مثل

الدود لكنها أثخن وأعرض، ذات لون أسود يميل إلى السمرة. لقد نظر شهاب إليها في البداية شزراً، وكذلك أنا فقد رمقتها بنظرات تدل على الاحتقار وعلى عدم الاهتمام بها، ولكن، بعد ثوان قليلة اختلف الموقف تماما، لأننا رأينا تلك الحشرات تهجم بأعداد كبيرة لا تحصى.. وأشكالها وهي تسقط من سقف الكهف وتخرج من باطن الأرض كانت مقززة ومثيرة للرعب والخوف في النفوس.. لذلك فقد قفزت من مكاني ودخلت في وضع تأهب، وكذلك شهاب الذي قام عن الأرض بحذر وصار ينظر هنا وهناك، مترصداً تلك الحشرات.

قال لي بصوت حذر:

"احذر يا حكمت.. هذه الحشرات غريبة للغاية.."

وبينما كنت أنقل أنظاري بين أكوام الحشرات هنا وهناك، قلت له:

"يجب أن نخرج من الكهف يا صديقي... ولن نتمكن إلا من حمل أسلحتنا.. لن يسعفنا الوقت... هذا العدد الكبير لا يمكن الوقوف في طريقه"

وكانت كلماتي صحيحة للغاية، فأخذنا أسلحتنا وسعينا للخروج من الكهف، ولكن الصدمة، أن باب الكهف ممتلئ بتلك الحشرات عن آخره. كان شكل الباب مقززاً للغاية، ومخيفاً، حتى كاد قلبي يقف عن النبض، وتجاعيد وجهي ظهرت كعجوز عمره

ثمانين سنة، وأنا أحدق في هذه الكائنات التي تتلوى، وهي تستفزنا، محكمة السيطرة على الكهف من كل الجهات.

لقد اندمجت مع شهاب كأننا جسد واحد، والعرق بدأ يتصبب من جبهتينا من الخوف، وكانت الحشرات تقترب جداً. وإذ بي أحدق بها من جديد حين اقتربت أكثر، وعرفت أنها علق. قال شهاب:

"إنها حشرات علق.. أكره شيء في حياتي.."

وبدا عليه حقاً أنه يكره العلق أكثر من أي شيء، ولكنه لا يعرف أن العلق ليس حشرات، بل نوع من أنواع الدود.

كان الأمر غريباً للغاية، لم نشاهد أنا وشهاب عدداً هائلاً من العلق يهجم على مكان ما، لذلك شعرت بأن في الموضوع إنّ.

لقد اقتربت ديدان العلق مني ومن شهاب جداً، كدائرة كبيرة جداً ولا يمكن تخيل حجمها، ورغم سعينا للهروب فكل الطرق مسدودة وتؤدي إلى ديدان العلق. هجمت العلقة الأولى، والثانية والثالثة، علي وعلى شهاب، ثم تكومت جماعة كبيرة من العلق على رأسي، ويدي، ورأس شهاب، ويديه، ثم جسمينا بالكامل، وصرت أتحرك أنا وهو

مثل الرجال الآليين الذين يعانون خللاً في التوجيه والحركة، حتى أننا لم نستطع الرؤية.

أخذت أصرخ لشهاب وشهاب يصرخ لي، وقلت له:

"أهم شيء أن تبعد العلق عن عينيك وفمك وأنفك وأذنيك.. احذر يا صديقي..."

فكنت أركز أنا وشهاب، على رأسينا، ولم نسمح لأي دودة بالدخول في أي جزء من أجزاء الرأس، لأن دخول دودة علق في مجرى الأذن، أو مجرى الأنف، أو في الفم، يعد خطيراً للغاية، وخاصة بكميات شرسة كهذه. لقد شعرت وأنا تحت هذا التهديد بأن ألف رجل من عناصر الأنتربول يضعون أسلحتهم في أمعائي.. كنت أريد التقيؤ.. وشعرت بمغص وألم في الرأس..

لكنني أخذت أتحرك، أنا وشهاب، حتى وصلنا إلى مكان قوارير الترياق التي جلبناها معنا من رحلة اليوم، وفتحناها وأخذنا نرش على ديدان العلق، لكن ذلك لم ينفع، وبصراحة كان محاولة ساذجة غبية منا، وبدا كأننا نرش منشطات ومنبهات بدل أن نرش سموماً... ولكن خطرت ببالي فكرة.. وأخذت أزحف مع شهاب إلى كأس الملح الموجود على الطاولة التي أعددناها للطبخ..

كانت الديدان تزحف على جسدي، وتلدغ بقوة، وتألمت، وكانت آلاماً مزعجة للغاية، ليست مؤلمة جداً، ولكنها تبقى مزعجة، ومزعجة جداً.

خلطت الماء، بعد كفاح، مع الملح في سطل كبير، وأخذنا نرشه على الديدان واحدة تلو الأخرى.. فصارت تهرب أخيراً.. وتقفز عن جسدي وجسد شهاب مهزومة يائسة، ثم تعود بالتدريج إلى أمكنتها المخفية بين الصخور والطين والتراب، كان الأمر أشبه بكابوس حل علينا ضيفاً ثم رحل. بعد أقل من دقيقة، هربت كل ديدان العلق، ولم تعد دودة واحدة أمامنا: إلا الديدان التي قتلناها ونحن ندافع عن أنفسنا.

فارتميت أخيراً على الأرض أنا وشهاب، وزفرنا بقوة الهواء من رئتينا، لنرتاح بعد تعب وإرهاق جسدي وعقلي طويلين، تنهدنا براحة، وأخذنا ننظر في جسدينا المملوئين بالثقوب: تلك الديدان اللعينة كانت تريد مص كل قطرة دم فينا.

ولكن، أخذت أضحك بقوة، وكذلك شهاب، أخذ يضحك بقوة، مستلذين بنجاتنا من خطر مميت. لكن الأمر العجيب هو أن ما حدث جنوني ولا يمكن تفسيره، ولم أر في حياتي دود علق يهجم بهذا الكم الكبير على الناس، معروف أن دود العلق يختبئ وإذا هوجم فإنه يقفز في الماء ويدعي الموت، بخبث ودهاء، وأنه لا يهاجم البشر.. فعلاً إن هذه الجزيرة خطيرة وعجيبة للغاية.

***

نظرت دارين من خلف أغصان وأوراق النبات المتسلق إلى الداخل تماما.. حيث نجا هذين الشابين بأعجوبة من الموت المحدق بهما، وتساءلت في قرارة نفسها، إن كان

هذين الشابين مصنوعين من حديد كي يستطيعا التخلص من ألفي دودة علق دفعة واحدة. اغتاظت دارين جداً، وكان الدم يغلي في عروقها، وهي تحدق، بأعينها العسلية، إلى الداخل، فترى حكمت وشهاب يضحكان ويتسليان كأن شيئاً لم يكن. دارين كثفت كل جهدها وطاقتها منذ لحظات في التركيز على السبيلمنال، وكانت قد أجرت دورات عند أستاذ في مجال السبيلمنال عندما كانت في العشرين، بدءاً بطريقة صياغة الرسائل والإيحاءات غير المباشرة، وانتهاء بطريقة خداع العقل الباطل بها، وكل ذلك مر بجهد متعب ومرهق للعقل والجملة العصبية، ويحتاج كميات هائلة من التشاكرا "الطاقة".

لم تفشل دارين ولو لمرة في عمل السبيلمنال، فمنذ دخولها الجزيرة واستخدامها لسلاح عصا السبيلمنال الخاص ببرجها، ألا وهو برج العذراء، فقد قتلت ثلاث مشتركين بهذه القدرة وحدها، المشترك الأول مات محبطاً بالطاقة السلبية، والمشتركة الثانية ماتت بعد أن هجمت عليها أفعى صغيرة، والمشتركة الأخيرة ماتت متسممة بعقرب صغير جداً، وكل هذا: ليس إلا بتأثير السبيلمنال.

وكانت دارين تشعر بالشفقة والندم تجاه ضحاياها صراحة، ولكن، ما باليد الحيلة في لعبة موت غايتها النجاة. كانت دارين ذات السادسة والثلاثين، ذات شعر أحمر طويل، ترتدي معطف أسود جلدي، تحته كنزة صوفية بيضاء، وجزمة حمراء معقوفة الطرف، إذ

تبدو كثعبان يتدلى من قدمها. وكان هذا الزي هو الزي الرسمي لبرج العذراء في هذه اللعبة.

دارين لم تصدق أنها فشلت في الإيقاع بهذين الشابين: يعمل السبيلمنال الموجود بطاقة كبيرة في الحجر الكريم الموضوع في هذه العصا التي بيدها، بقوة هائلة للغاية، وهي تختلف بحسب المستخدم، فإن كان محبطاً فلن يحقق غايته، وإن كان ذو عزيمة جبارة فسيقتل هدفه لا محالة. إن السبيلمنال معركة ثبات عقلي. الطرف الذي يخدع عقل الآخر فعلاً هو الذي يفوز: يبدأ الأمر بأن يصوغ المهاجم في عقله فكرة يريد قتل ضحيته بها، كأن يقنعه بأنه يائس، ومحبط، وفاشل، ولن ينجح في تحقيق شيء، وبذلك، إن كان المهاجم قوي العقل، والضحية ضعيفة العقل، فإن الأخير يهزم تماما ويحتم عليه الموت. أو أن يقوم المهاجم بتوجيه كائن ما لقتل الضحية، كأن يتلاعب بالحشرات، وبالطيور، وبالأفاعي، وبأي كائنات أخرى، ويوجهها إلى الضحية. لقد أثبتت الكثير من تجارب السبيلمنال نجاحها الكبير. لو كانت دارين في الحياة الحقيقية لكان أقصى ما تستطيع فعله بالسبيلمنال مثلاً أن تتخلص من الذكريات السيئة في عقلها، وتسعد بحياتها، وأن يرتاح بالها، أو أن تحطم شخصاً ما نفسياً. ولكن هنا في هذه اللعبة، أعطى المطورون قدرات رهيبة لعصا السبيلمنال تفوق

الخيال، وكانت دارين بارعة في ذلك حتى الآن... حتى هُزم عقلها على يد حكمت وشهاب.

وجدت دارين تفسيراً وحيداً لما حدث: أحد هذين الشابين يملك ثبات عقلي رهيب، فالثبات العقلي هو عدو السبيلمنال، أو أن هذا الشاب يعرف بوجود أشياء تخدع العقل الباطن، ويقوم بتفنيدها في عقله بذكاء ودهاء إدراكي وتحليلي. لم تشعر دارين بأنها استفزت كما هي الآن، وأرادت أن تقتل هذين الشابين في الحال، ولكن الأمر لم يعد بيدها فقد استنزفت طاقتها بالكامل، عندما قامت بالسبيلمنال. ويجب أن تنتظر حتى تكتسب طاقة جديدة، لكي تبدأ بمحاولة أخرى.

دارين التي كانت تراقب حكمت وشهاب.. كان هناك شخص خلفها، يراقبها أيضاً دون أن تعرف، من أعلى شجرة، وهو يتخفى تماما تحت الأوراق، حتى يكاد يبدو للناظرين أنه جزء من الشجرة نفسها. كان يراقبها بصمت، ويبدو أنه يراقبها منذ فترة طويلة.

16

بيد أن سومر لم يعلم حتى الآن ماذا كانت دارين تفعل وهي تتنصت من خلف أوراق وأغصان تلك النبتة المحيطة بالصخرة.. ولم يكن سومر يعلم حتى أن تلك الصخرة كهف، فهو يراقب، كما قلنا في الفصل السابق، من أعلى شجرة، ولم يكن يستطيع رؤية المكان حيث تقف دارين بشكل كامل. لكنه، كان يراقبها منذ صبح اليوم، فعندما أفاق جدد طاقته بتمارين الرياضة بعد أن تناول قطعة من صدر عجل كبير اصطاده في منطقة قريبة كانت تعج بالعجول والماعز. وبعد أن لعب تمارينه من ضغط وعقلة وكارديو، قام سومر بالخروج من مكان اختبائه، وهو كوخ خشبي. كان سومر ينام فيه في صندوق خشبي صغير، حيث يموه جسده بسلاح الاختباء المخصص لبرج الأسد، والذي كان عبارة عن كرة صغيرة، يضغط عليها سومر بمرونة، فتصنع هذه الكرة الذكية مجسماً ثلاثي الأبعاد يغطي كل جسم سومر، ويجعله مطابقاً للمكان الذي يختبئ فيه.. إذ أن من يأتي ويشاهد الصندوق الخشبي الذي ينام فيه سومر لن يرى إلا صندوقاً فارغاً في الحقيقة.. لأن سومر كما أسلفنا، يستخدم سلاح الإخفاء الذكي.

كانت أسلحة برج الأسد ثلاثة، وقد حصل عليها سومر كلها: سلاح الاختباء، وعصا السبيلمنال، وقاذفة اللهب.

تتيح قاذفة اللهب للمستخدم، أن يقذف منها بطريقتين: إما شرارات لهب متواصلة في المدى القريب حيث تحرق الخصم حرقاً شاملاً. أو قذف كرات نارية صغيرة لمدى بعيد جداً قد يصل إلى ٦٠٠ متر. لقد أعجب سومر بسلاحه هذا للغاية، ولكن أكثر سلاح أفاده هو سلاح الاختباء، وفعلاً، إنه سلاح مناسب لأسد، لملك الغابة: حيث يبقى ملكاً على كل شيء، ويكون جزءاً من الموجودات لا يتجزأ عنها، وكأنه شجرة أو جذع أو أوراق أو أرض. باختصار: كأنه كل شيء.

سومر كان يراقب دارين منذ بداية الصباح، وحتى الآن. راقبها وهي تقتل مشتركة بالتلاعب بعقل عقرب وجعله يقتل الضحية، ومشتركة أخرى استخدمت من أجل قتلها أفعى صغيرة. استطاع سومر سماع صرخات هاتين الضحيتين المسكينتين وبحثهن عن الترياق دون جدوى، وهن يزحفن على الأرض بهزيمة وشعور عميق بالموت.

فكر سومر في نفسه محللاً: بالتأكيد إن دارين لا تكمن هنا على باب هذه الصخرة من أجل شيء تافه، ربما هناك أناس في داخل الصخرة. أو أن الصخرة ليست مجرد صخرة. ولمع الاستنتاج في عقل سومر: الصخرة في داخلها بيت أو كهف، وهناك مشتركون تتنصت دارين عليهم رغبة في قتلهم بطريقتها المدروسة. ولكنها تأخرت جداً، وهي لم تتأخر هكذا من قبل.

لأشرح لكم لماذا سومر لم يرَ حكمت وشهاب وهما يدخلان الكهف: هذا لأن سومر

اعتاد على النوم المتقطع، وخاصة في حالات اختبائه، فهو يعلم أن لا أحد سيراه ويفكر في الهجوم عليه. فحين كمنت دارين أمام الصخرة، كان سومر قد تعب وهو ينظر إليها، فنام، في غفلة. وفي تلك الغفلة تماماً دخل شهاب وحكمت من باب الكهف إلى الداخل، وكانت دارين قد اختبأت في مكان بعيد تراقبهما حتى يدخلان، وحين دخلا، كمنت أمام الباب تماما، واستجمعت قواها، وأدت السبيلمنال، وبعد عشرة دقائق حتى استيقظ سومر واستمر يراقب دارين.

عادة النوم المتقطع هذه عند سومر رافقته منذ أن ولد، كانت تأتيه في حالات الملل.

لقد قرر سومر حسم أمر هذه الفتاة، التي لعبت كثيراً حتى الآن، ونالت علامة تامة منه في الحذر والترقب واستعمال السبيلمنال، وكان سومر يراقبها لسببين: الأول هو أن يتعلم من الآخرين كيفية استعمال الأسلحة ويكتسب خبرة، ولقد أبهرت دارين سومر، صراحة، باستعمال عصا السبيلمنال، واكتشف منها الفكرة الأساسية والطريقة المعقدة لاستخدامها. والسبب الثاني هو أنه كان يشعر بالملل ويرغب في فعل شيء مثير، ولا شيء مثير كمراقبة الآخرين دون أن يعلموا. إذ يشعر سومر في حالة كهذه بأنه يعمل كمحقق بارع لاكتشاف لغز غامض.

لكنه قرر، الآن، إنهاء هذا الأمر.

أمسك سومر بسلاح القاذفة المربوط بحزام حول خصره، وكانت قاذفة صغيرة يخيل إليك أنها مجرد مسدس، ولكن طويلة بعض الشيء، لها من الخلف كرة سوداء، وجسم يشبه جسم سمكة. كانت فوهتها صغيرة بالكاد تشعر أنها فوهة قاذفة. لكن مفعولها كان سحرياً.

وجه سومر القاذفة باتجاه المكان الذي تكمن فيه دارين، وطلب السماح من ربه، لأنه سيضطر للقتل، لثاني مرة، منذ دخوله اللعبة. وقد تذكر، عند هذه اللحظة، حين قتل ضحيته الأولى، الذي كان شاباً سميناً، ينتمي لبرج السرطان، ولاحقه ملاحقة شرطة لمجرم، وبعد أن وقع الشاب في وادي، فقد مات دون أن يتمكن سومر من صيده، لكنه حقق غايته نهاية. وكما نعرف، فإن سومر لا يقتل لذة في القتل، بل لأنها معركة حياة أو موت، لا مكان فيها للرحمة.

ضغط سومر على زر الإطلاق، وفي أقل من ثانية، أطلقت القاذفة كرة صغيرة من النار.. توجهت كطلقة مدفع إلى دارين..

وحين ضربت بالمكان، لا يمكن للرائي إلا أن يشاهد النيران وهي تستعر من كل رقعة حول دارين، حارقة جسدها، جاعلة إياها، تصدر صوت الألم والعذاب، هذا الصوت الذي يصدر من جسد الكائن الحي حين روحه تُقبض وتصعد إلى السماء مغادرة

الجثة، لتبقى دارين، مسطحة على الأرض، ميتة، بلا حول ولا قوة. تطاير الدخان من حولها وتحولت إلى فحمة سوداء غامقة.

ذم سومر شفتيه في تعب وإرهاق نفسي: كانت تأتيه حالة قاسية من الاكتئاب بعد قتل الضحية، وها هو يتذكر، كيف عانى من الداخل بعد أن قتل ضحيته الأولى، وها هي المشاعر نفسها تعود من جديد، كأنها شبح يأكل روحه ويعذب كيانه. إنه عبء ثقيل يجثم على الصدر مثل صخرة فوق فراشة لا تحتمل القسوة.

وعلينا أن نتذكر من جديد: أن الحياة قاسية وغير عادلة، وتضطر الإنسان ليفعل أشياء لم يكن يتصور أنه سيقوم بها في وقت من الأوقات، وعلينا الاعتياد على ذلك شئنا أم أبينا.

***

حين كان حكمت يغرق في ضحك متواصل مع شهاب.. سمع كل منهما صوت فتاة قريب وهي تصرخ صراخاً عميقاً وتأن أنيناً قاسياً، وكأنها تنازع في آخر لحظات حياتها، فدُهشا وقاما في الحال إلى مكان الصوت.. وبعد أن وصلا إلى باب الكهف اختفى صوت الفتاة تماما. ولم يتمكنا من رؤية إلا جثة محترقة يتطاير منها الدخان الأسود.

***

نم ثغر سومر عن ابتسامة حنونة للغاية، واتسعت عيناه بدهشة عظيمة، وهو يشاهد حكمت من بعيد. لقد شاهد حكمت وسرّ جداً لأنه رآه يمتلك صديقاً الآن، لقد أخذ ينظر بعين الفضول إلى شهاب، ويحلل شخصيته، وقد تذكر أنه رآه في المروحية قبل النزول منها إلى الجزيرة.

صرخ سومر من أعلى الشجرة:

"حكمت.. حكمت.. يا صديقي..."

***

اعترى حكمت إحساس رائع.. إذ شعر وكأن ناراً اشتعلت في جوفه حين سمع هذا الصوت المألوف يناديه، وذُهل شهاب تماما، لكن عقله، استطاع تحليل الموقف: إن هناك صديقان سيجتمعان بعد فراق قاس. وحين صار حكمت يحرك رأسه ذات اليمين وذات الشمال، استطاع أن يرى سومر وهو يلوح له من فوق الشجرة. فاقترب حكمت وشهاب من الشجرة، وقفز سومر من أعلاها إلى الأرض، قفزة أسد.

ارتمى حكمت في أحضان سومر وهو يضمه ويقبله، وشهاب يشاهد هذه العملية السيكولوجية الحنونة، متأكداً، أن هذين الشخصين يكنان صداقة عميقة جداً لبعضهما لا تفرقها المصاعب ولا السنون.

وبعد اللقاء والدموع، عرّف حكمت سومر بصديقه شهاب، وذكر كل أفضاله وهو يضحك ويرمي بالنكات. وعرف شهاباً بسومر، ذاكراً عيوبه فقط، من باب الدعابة ودب روح الفتنة. ثم دخل الثلاثة إلى الكهف. جلسوا حول مائدة من الطعام أعدها حكمت لصديقه فيها لحم السمك المسلوق وقطع فاكهة وخبز بالحليب. لقد أظهر سومر توافقاً ملحوظاً مع شهاب في كثير من الأمور الشخصية، وشعر بأنه شخص جدير بالثقة، وكان المساعد على ذلك هو أن حكمت قام بمدح شهاب، وحكمت لا يمدح شخصاً عن عبث وهو معروف بأنه لا يجامل، وأنه عفوي الطبع، نقي لا يقول إلا الحقيقة، ويقول للأعور أنه أعور في عينه. ومن ذلك قلّب سومر الأمر في ذهنه وخلص إلى نتيجة أن شهاب شخص جيد بالتأكيد. على أية حال: فسومر لم يعترف بشهاب كشخص رائع وعظيم كما قال حكمت، فمن طبيعة سومر، أنه مغرور قليلاً، ولا يعطي حكماً على أحد مباشرة من دون أن يتعرف عليه لفترة طويلة، حتى لو أغدق الناس فيه المديح والثناء لساعات على مسامع أذنيه.

وبعد الطعام: فإنهم احتسوا القهوة بالحليب، ثم تشاركوا معلومات عن الأبراج وشخصيات اللعبة وأسلحتها، وأثناء الدخول في السيرة قال سومر:

"لقد كانت تلك الجثة المحترقة خارجاً ضحيتي.."

فنظر حكمت إلى شهاب في فضول، ودهشة، وسألا سومر ليشرح لهم ما حدث. فقام سومر بقص كل ما كانت تفعله دارين سابقاً، وأنه لم يكن يعلم أن هذه الصخرة كهف، وبأنه كان يلاحق دارين كل اليوم. باختصار لقد شرح لهم كل ما حدث من الألف إلى الياء، فخلصوا إلى نتيجة أن ديدان العلق التي هاجمتهم كانت بتحريض تلك الفتاة التي تدعى دارين بالتأكيد. وطوال ساعة، تبادلوا الحديث عن السبيلمنال الذي شرحه لهم سومر، وأفاض فيه الشرح حكمت، وتبادلوا أيضاً، تنبيهات الحذر منه، فكل منهم يحث الآخر على فهم معنى السبيلمنال ومدى خطورته في هذه الجزيرة، وأن الحل الوحيد لتفاديه هو معرفة وجوده وتحصين العقل الباطن ضده كلما شعر الإنسان بخطره وأن يبقى الإنسان ثابتاً عقلياً بحيث لا يسقط ضحية الهجمات النفسية. أما إن أتى السبيلمنال نتيجة تحريض كائنات أخرى على الضحية، فإنهم سيضطرون للتعامل مع تلك الكائنات، ولا مهرب من المواجهة. وبقوا يتحادثون ويرفهون عن أنفسهم بعد ذلك لنصف ساعة، ثم قرروا الخروج والبحث عن أسلحة

أخرى لحكمت وشهاب في الجزيرة. وفقاً لكلام سومر فإن لكل برج ثلاثة أسلحة.. ولم يحصل كل من حكمت وشهاب إلا على نوعين من السلاح حتى الآن.

17

كنت أدرك أن الموت والحياة مثل الين واليانغ لا يمكن لأحدهما أن يوجد بمعزل عن الآخر.. إنهما هدم وبناء.. فكما أنك لا تستطيع رؤية النور دون أن تدعس قدماك على جسر الظلام.. فإنك أيضاً لن تشعر بالحياة دون وجود موت يأكلك.. وإن الحياة غير جميلة من دون صعوبات وآلام وأحزان.. فحيث يوجد حب.. يوجد حزن.. وحيث يوجد ألم.. توجد العظمة..

بشعور متأصل بالميل إلى الخلود أقول ذلك، وأعوّل على أحزاني وآلامي وكل ما مررت فيه من صعاب وخبرات ونزهات في بساتين الحياة. وأدرك، بأعين متقدة، وبصيرة نافذة، أن شعور الموت حس يبدأ من الداخل أولاً: فإنه يبدأ من التأثر بالمحيط والشعور المأساوي بالحياة، ولم أكن أكره هذا الشعور يوماً، الذي تحس وأنت في خضمه بأنه معلق وسط الزمن، كأن الزمن لا يتحرك، وكأن اللحظة التي تعيشها مجرد وهم، أو خيال مضمحل لا تشعر به بقلبك ولا تحس به بروحك، بل فقط يدركه عقلك وتراه عيناك. إنه إحساس بالنضوج.

أجل، فأنت في لحظة الموت هذه لا تشعر بالحياة، ولا تشعر إلا بأنك ميت أو جثة، أو كأنك نافذة تطل على البحر الميت، أو كأنك مجرد تفاعل كيميائي سوف ينتهي

آجلاً أم عاجلاً، أو كأنك عجوز يراقب نفسه في مرآة، منتظراً، بشوق لا يخمد، فناء حياته. معداً، بعقل متقد، كل المواقف التي مر فيها، مفكراً في ما يعنيه كل موقف.

أجل أنت تماما كفيلسوف أحمق، لا يريد أن يعيش اللحظة ويستمتع بها، ولا يريد أن يرى العالم حوله إلا من خلال الفكرة، والشعور، والإحساس. أنت مثل الفراشة المسكينة التي تسعى إلى النور دوماً، وحين تصل إليه فإنه يقتلها، وأنت تعرف تماما أنك ستموت، لكنك لا تبالي، ويتلاشى في ذهنك كل شيء من المبالاة. فإن شعورك باللامبالاة هو الحياة بعينها، في نظرك. يبقى ذهنك متقداً دوماً، ومشاعرك فياضة، وتحليلك لكل شيء يبقى كما هو، كأنك بومة حكيمة تحصي سلبيات وإيجابيات الكون.

هكذا كنتُ، كحكمت، وهكذا سأبقى.

لم أشعر في حياتي بمشاعر عديدة تأكل بعضها كما أنا الآن: لقد اضطررت للدخول في هذه الجزيرة دون أن أفكر حتى مجرد تفكير في أنها حقيقة، بل كنت أظن أنني سألعب وسأقبض مالاً في النهاية عندما أربح، لأكتشف ورفاقي أننا خدعنا، وأننا ضحية تسلية لشاذ معتوه مريض يدعى ستيف مانسون، ولعالمة أبراج مجنونة اسمها ستيلا ماري. لندخل نحن البشر كقتلة في الجزيرة ونمارس القتل ونمارس التنكيل ببعضنا إذا اضطر الأمر، ونقوم بحرب نفسية على بعضنا البعض، تماما كوحوش الغابة

الضارية، وكأننا جزء من طبيعة هذه الجزيرة التي تسعى لتحقيق قانون البقاء للأصلح، كفئران تجارب تسلخ جلودنا ويستلذ صانعوا اللعبة وهم يتفرجون علينا ويتناولون الفوشار.

لقد شعرت وأنا أنظر في عيني سومر، الذي اضطر لقتل اثنين من المشتركين، بأنها أعين تغيرت عما كانت عليه من قبل، وأنها تدل على ألم دفين وحزن عميق. كذلك الأمر بالنسبة لشعوري وأنا أنظر في عيني شهاب: وكأنني أنظر في عيني إنسان فقد جزأه الإنساني، ويأبى أن يعبر عما يشعر به تجاه من قتلهم. كذلك ربما هما يشعران وهما ينظران في عيني. هل من الطريف أن يتحول شباب مثلنا إلى أناس تفكر بسلب الحياة من أجل البقاء؟

كان تفكيري هذا، رغم جديته، بلا أي معنى في هذه الحالة الصعبة الي نحن فيها. إنني أفكر بذلك، وأنا وشهاب وسومر نجلس حول النار ونشوي السمك، أخذت أنظر في السمكة التي تتقلب على النار وأنا أشفق.. لا أدري على من.. عليها.. أم علينا وعلى مصيرنا المجهول.. وإحساسنا بالفناء.. وأخذت أتذكر في هذه اللحظة كل المواقف التي مررت بها من خوف وقلق وحذر مذ أن وطئت قدماي هذه الجزيرة اللعينة...

أما القمر في السماء.. فينظر إلي نظرات مستفزة.. كأنه يذكرني بمن قتلتهم يداي..

***

(مقر شرطة الانتربول الدولية):

يدخل رجل يرتدي اللباس الرسمي الأزرق والأسود ويحمل مسدس حراري إلى مكتب رئيس التحقيقات الفيدرالية، وهو يركض بسرعة، حاملاً خبراً سيئاً لسيده.

"سيدي.. للأسف لم نستطع العثور على مكان ستيف مانسون"

حرّك رئيس التحقيق كرسيه الدوار بينما كان يضع عينيه على شاشة الحاسوب، وتحديداً على نافذة لبرنامج يكشف المواقع عبر نظام جي بي إس الموصول مع الأقمار الصناعية مباشرة. وشعر بإرهاق، وزفر الهواء من فمه بحنق شديد، وقال:

"هذا الملعون.. من أين يأتي بكل هذه الخبرة ليهرب.. نحن نمتلك أحدث أجهزة الإرسال والاستقبال والكشف عن المواقع في العالم.. وأقوى الأقمار الصناعية، وأقوى الباحثين في مجال المواقع، فلماذا هذا الفشل؟ إن هذا يا نيكول يعد فضيحة لنا.. ستستلم الصحف وكالة التحقيقات الفيدرالية صباح مساء في السخرية اللاذعة والاحتقار"

يرسم نيكول ملامح حنق على وجهه، ويكبتها، ثم يقول باحترام وهو يفرك يديه:

"سيدي إن ستيف لديه خبراء وعلماء أيضاً.. وبالتأكيد أجهزة لحجب الموقع"

يتناول رئيس المكتب رأسه بين يديه وهو يشعر بالاستفزاز وغضب عارم يجتاح كيانه ويقبض على أنفاسه، ويطرق سطح المكتب بقبضة يده بقوة، قائلاً:

"اللعنة.. اللعنة.."

***

اليوم مساء ٢٠١٩\٦\١٦ في الساعة السابعة، أصدرت وزارة الخارجية الروسية بيان تستنكر فيه قيام مؤسس شركة مكروغيم الأمريكية بلعبة موت خطيرة على الواقع منكلاً ببراءة الشباب من حول العالم، وخرجت وزيرة الخارجية زاخاروفا في بث مباشر تخاطب الحكومة الأمريكية ورجل الأمن الأمريكان بالتحرك سريعاً والكشف عن موقع هذا المجرم العالمي، وإحالته إلى محكمة الجنايات العليا، وتحديد مواقع الجزر التي تقام فيها المعارك لإنقاذ ما تبقى من اللاعبين.

واليوم مساء أيضاً ٢٠١٩\٦\١٦ في الساعة السابعة وعشر دقائق، أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية بياناً ترد فيه على الخارجية الروسية بأنها بالتأكيد مسؤولة عما حدث بشأن ستيف مانسون الذي هو أصلاً مصاب بمرض نفسي وعقلي، ولكن رغم ذلك فإن الحكومة تبذل جهدها، صفاً إلى صف بجانب الأمن، ووكالة التحقيقات

الفيدرالية للعثور على ستيف مانسون وستيلا ماري بأقرب وقت، وأنه سيتم تقديمهم للمحكمة الجنائية العليا فعلاً إذا تم القبض عليهم.

وبعد ذلك بعشر دقائق أيضاً: أصدرت وزارة الخارجية الروسية بياناً تقول فيه أن هناك مئة وتسع وستون ألف مشترك روسي في هذه اللعبة الإجرامية، وأن روسيا لن تسكت إطلاقاً على ما حدث بحقهم من إجرام وإكراه على جريمة بشعة لا ذنب للمواطن الروسي فيها، وأن الحكومة والأمن الروسي باشر بالتحقيق في المسألة، وإذا تم اعتقال المجرمين المسؤولين فلن تسامحهم روسيا إطلاقاً.

18

بينما كان حكمت وسومر وشهاب جالسين على الأرض يتبادلون أطراف الحديث.. كانت هناك نحلتان كبيرتان قد دخلتا الكهف، تحلقان، في سماءه كأنهما تبحثان عن شيء ما: لا.. بل إن البحث لم يكن غايتهما، بل غايتهما شيء آخر تماما.

ولم يكن يبدو عليهما أنهما نحلتان غير طبيعيتين، فهما كأية نحلة، وما من شك في ذلك إذا نظر الرائي إلى شكلهما الذي يبعث على الطمأنينة والراحة. لكن حكمت، وبدافع تحليل عميق، وبصيرة نافذة، وعقل متقد، استطاع أن يشك في شيء مهم غفل عنه سومر وشهاب: إن النحلتين في الواقع مجرد روبوتات للتعقب والمراقبة. فمن يستخدم ديدان العلق والعقارب والأفاعي في السبيلمنال، ليس من الغريب إطلاقاً أن يستخدم النحل كجهاز تعقب ومراقبة.

قال حكمت بصوت واضح:

"يا شباب.. هذا النحل أشك أن يكون نحلاً عادياً.. وأعتقد أنهما نحلتان للمراقبة"

فلمعت هذه الفكرة كنيران في عقلي شهاب وسومر، فقاما عن الأرض، كذلك حكمت الذي قام بهدوء وهو ينظر في النحلتين القادمتين من البعيد بعين الشك والحذر والقلق.

لقد بدا أن النحلة لا تسير كنحلة عادية فعلاً: إذ كانت حركتها أبطأ من النحلة العادية، ولكنها سريعة بما يكفي للوصول لهدفها في وقت محدد، وكانت حركتها غير إدراكية، فكأن شخصاً ما يوجهها.

وبدا على النحل أنه يتراجع من داخل الكهف، فقال حكمت بعد تفكير:

"إنهما تهربان.. أعتقد أن صوتي وصل للشخص الذي يستخدم النحل في المراقبة وقرر سحب النحل للحفاظ عليه..."

فركض شهاب دون أي تفكير، وقبض على النحلتين كل منهما في يد، ثم فركهما بقوة ضاغطاً على جسديهما. فانكسرتا في يده وتهشمتا إلى أشلاء.. ليتضح فعلاً أنهما روبوتات. فقد كانت من بين الأشلاء ترانزستورات وقطع الكترونية صغيرة مكونة دارات حجمها صغير للغاية.

إذ بشهاب يقول وهو يشعر بالخطر:

"كان تحليلك صحيح يا حكمت.."

وشعر الثلاثة باقتراب الخطر منهم: بالتأكيد إن هذا المشترك الذي يستخدم روبوتات النحل للمراقبة والبحث، سيأتي إلى هنا حيث دلته النحلات لآخر مرة قبل أن نحطمها.

فسارع سومر إلى القول:

"دعونا نخرج من الكهف إلى أي مكان..."

وقبل أن يتكلم حكمت.. سمعوا صوتاً لشاب يأتي من باب الكهف، وهو يقول، بنبرة باردة، مستفزة، وقاتلة للأعصاب:

"لا فائدة.. فلقد وصلتُ حتما.. ولن أغفر لكم قتل نحلتيّ الجميلتين"

فتأهب حكمت وسومر وشهاب، في وضعية قتال، بعد أن التقطوا أسلحتهم عن الأرض، وهم يوجهون أنظارهم إلى ذلك الشاب القادم بخطوات واثقة من باب الكهف. حبسوا أنفاسهم، واستجمعوا قواهم. بينما ظهر أمامهم شاب طويل عريض المنكبين، يرتدي عباءة فضفاضة بيضاء، وعليها رسم لميزان عند صدره، باللون البرتقالي، وكان الشاب ذو شعر طويل للغاية أسود وناعم مسرح إلى الخلف، ويرتدي شبشب جميل مرصع بحجرين من الزبرجد. كان الشاب أبيض البشرة ذو ملامح ثعلب مكار، إذ يبدو للحاضرين وكأنه محام في جلسة دفاع عن موكله، أو كأنه رئيس ورشة مسائلة ومحاسبة، أو موظف تفتيش محنك، أو سياسي يلعب على حبلين. كان كل ذلك يتجلى من عينيه العسليتين العميقتين، ومسحة جبهته الغامضة، المثيرة، الكبيرة، وفمه الذي يرسم ابتسامة ثابتة قاتلة للأعصاب بشكل مستفز، ولكن، مهيوب للغاية.

بيد أن شهاب قد رفع مسدسه ووجهه إلى الشاب، ولكن، قبل أن يكمل ذلك، رفع الشاب يداه الاثنتين، وكانت تخفيان تحت الكم الطويل سلاح نينجا، وهو الشوريكين، تلك الأسلحة الخطيرة التي تشبه السكاكين ولكن لها عدة أطراف، على شكل نجوم، وحين تطير في الجو بفعل خبير، فإنها تهشم الجزء الذي تستهدفه في جسد الضحية.

فبسرعة خاطفة، رمى الشاب الشوريكين في الهواء، باحترافية ودقة وإتقان: لتصيب الشوريكين سلاح شهاب وتسقطه أرضاً، بل لقد أصابت يده أيضاً، جاعلة الدماء تنبثق منها. رغم ذلك، حبس شهاب ألمه، فمن عادته في لحظات الألم أن يفعل ذلك. ولكنه حين نظر إلى سلاحه على الأرض.. فوجئ بأن أسلحة حكمت وسومر أيضاً سقطت على الأرض، ولكنه لم يلحظ ذلك إلا الآن: أجل أيها السادة، لقد استطاع سلاح الشوريكين أن يرتدّ من يد شهاب إلى يد حكمت ويد سومر ويسقط كل أسلحتهم دفعة واحدة على الأرض.

وبشكل فجائي، وقبل أن يستجمع الجميع أنفاسهم، وقبل أن تتاح الفرصة ليشعروا بأي شيء.. فوجئ حكمت بلكمة قوية من يد تبدو كأنها فولاذ.. تصيب ذقنه من الخلف.. فيطير حكمت في الهواء بتأثير الضربة ويسقط على جدار الكهف ثم على الأرض، بهذا يكون قد حظي بالضربة الأولى في حياته، والأقسى على الإطلاق.

وخلال ثوان معدودة، ركل الشاب برجله الفولاذية أيضاً شهاباً في بطنه فقذفه أمامه على الأرض، حتى أن شهاب حين سقط صار يبصق الدم من فمه. أما سومر، ورغم أنه حاول أن يكون له السبق في ضرب الشاب، فإنه لم يستطع ذلك، لأن الشاب، انحنى بزاوية حادة متفادياً لكمة سومر، ودفع سومر بكلتا يديه، ولم يستطع سومر تجميع ما حدث في عقله، فهو لم يجد نفسه إلا ملقىًا على الأرض والدماء تسيل من رأسه عند جبهته.

إن السرعة كانت حكماً في هذا النزال، ومن لا يستخدم السرعة فلن يربح إطلاقاً: أخذ حكمت يحلل في عقله: إن هذا الشاب ذكي وقوي للغاية، بل إنه أقوى مشترك رأوه حتى الآن، وإن التعامل معه صعب ويتطلب إما ذكاء خارق أو قوة خارقة. لقد شعر حكمت بأنه مربط تماما. وأما شهاب فهذه أول مرة يتلقى فيها ضربة مؤلمة كهذه، وبهذا المقدار من القوة، فأخذ يضرب أخماساً في أسداس في عقله، دون نتيجة. ولنتحدث عن سومر، فإنه كان يلمس الدماء التي تسيل على رأسه، وينظر في غضب إلى الشاب.

كل هذا في أقل من ثلاث ثوان.

أما الثواني القادمة: بيد أن شهاب رأى الشوريكين أمامه على الأرض، فقرر أن يستخدم سلاح الشاب ضده بسذاجة، ولكن، حين لمسها، شعر باللكز وأن السلاح

يرفضه، كالعادة. فنظر الشاب بسخرية إلى شهاب كأن أستاذ لغة عربية صعب يستحقر طالباً لا يميز الماضي عن الحاضر، والمفعول به عن الحال. لقد شعر شهاب بإهانة عميقة: هو لم يلجأ إلى التفكير في استخدام الشوريكين إلا لأنه لم يجد حلاً سوى ذلك، وكان يشعر بأنه مقيد عاجز عن فعل شيء، وفي هذه اللحظات لا يعرف المرء ماذا يفعل.

انقض الشاب عليهم من جديد، وبدا أن حكمت وسومر وشهاب مثل الغزلان التي يلحق بها فهد مفترس، فأين هي الغزالة وأين هي السنوريات؟ إن الفرق شاسع بين مستواه ومستواهم. أمسك الشاب حكمت من عنقه ورفعه بين يديه كأنه يرفع حبة برتقال، ثم رمى به على جدار الكهف، وبدا مستلذاً تماما بذلك، سقط حكمت وأطلق صوت ألم خافت من فمه، فاستفز ذلك شهاب الذي أخذ ينظر بحقد إلى عيني الشاب، ورمى بنفسه إليه لكي يقاتله، وبعد، فإن الشاب تلقى شهاباً بصدر رحب فلكمه لكمة قوية عند بطنه، وأرجعه إلى الخلف متراً، لكن شهاب بقي ثابتاً على الأرض، وهذا كان مشجعاً للغاية: لقد قرر شهاب في عقله أن يظهر تماسكه وقوته العضلية كلها، أمام حكمت وسومر، لعله يشجعهما من جهة، وينتصر من جهة أخرى. وبالفعل بدا شهاب في هذه الوقفة كملك، وهو يتحدى بعينيه الشاب.

قام حكمت عن الأرض في ثقة وكبرياء، كمن يتعرض للكمة لا تؤثر فيه. وكذلك سومر الذي استعاد قوته وثباته العقلي.

قال الشاب لهم، بصوته البارد:

"أرى أنكم تستحقون الإعجاب.. رغم ذلك.. فإن معركتي لي.. والرابح هو أنا.. وأنتم الخاسرون.. لا يمكن بحال من الأحوال للفأر أن يهزم القط"

كانت كلماته، مليئة بالطاقات الموجهة، لقد شعروا بأن حرباً نفسية من العيار الصعب تلوح في الأجواء، فأعين الشاب وفمه وحركات وإيماءات جسده كلها تدل على أنه سينتصر، وكأنه لا يبالي بأي شيء، وكأنه سيقتل الجميع ثم سينكش أسنانه بهم.

إذ بالشاب يقول:

"اسمي نور.. وأنا فعلاً نور.."

لقد قالها بتعجرف واضح، وتبجح وغرور، والأمر الذي لا يحتمل أنه كان مهيوباً ووقراً حين قال ذلك: مستفزاً في ذلك حكمت وسومر وشهاب استفزازاً عظيماً.

يبدو أن هذا الشاب لا يملك إلا هذا السلاح لسبب ما من الأسباب، ربما أنه لم يعثر إلا على هذا السلاح، أو أنه لا يوجد أي سلاح لبرج الميزان سوى سلاح الشوريكين هذا وسلاح النحل المراقب. هكذا كان حكمت يفكر في قرارة نفسه: إذ

اعتاد حكمت أن يفكر دوماً ويهدئ من أعصابه في لحظات المواقف الحرجة، موقناً، بأن لا شيء سيخرجه من الموقف إلا العقل نفسه. وكان يدرب عقله الواعي، وعقله الباطن، على الثبات والمرونة والقدرة على التحمل والصبر، رغم أن الصبر ليس من طبع حكمت إطلاقاً. لكن حكمت يحب أن يتعلم من تجارب الحياة المختلفة، فلا شيء يعلمنا ويقوينا مثل المواقف الحرجة، فأنت إن خرجت منها ستكون شخصاً أقوى.

فكر حكمت في نفسه: ليس من الضروري أن يكون لبرج الميزان سلاح عصا السبيلمنال، وربما كثير من الأبراج الأخرى ليس لها سلاح سبيلمنال، فأنا لا أرى أي عصا بحوزة هذا الشاب، ومن المستحيل أن يكون شخص بمثل قوته لا يستخدم عصا السبيلمنال، أو أنه لم يعثر عليها: إذن فأستنتج من ذلك أن أسلحة برج الميزان في اللعبة هي الشوريكين، والنحل المتعقب أو المراقب.

بينما انقض شهاب وسومر على نور يريدان ضربه، فوجئوا بأنه أطلق الشوريكين الأخرى التي يحتفظ بها في كمه الأيسر، فحلقت الشوريكين باتجاه شهاب وسومر، وبسرعة، حاول الأخيران تفاديها، لكنها تمكنت من خدش شهاب عند يده اليمنى، وخدش سومر عند عنقه، وقد ارتدّت الشوريكين إلى حيث يقف حكمت، وبعد أن حاول تفاديها، كانت قد أصابته بجرح خفيف عند كتفه.

نظر الجميع في بعضهم البعض يتفقدون ما جرى، وهم يستجمعون قواهم وثباتهم العقلي. تسارعت نبضات القلوب وارتجفت الأبدان، وبُثت أحاسيس الخوف في الشرايين. وكان الأدرينالين عندهم قد وصل إلى درجة لا تطاق ولا يمكن تجميعها، حتى شك سومر بأن عقله سينفجر لا محالة وهو يحاول أن يكون ثابتاً ولا يستطيع.

قال نور، بصوت قاتل للأعصاب:

"في الحقيقة.. إن المعركة منتهية من الآن.. فقد وضعت سم البوتولينوم في الشوريكين.. وبالتأكيد فهو يسري في أجسادكم الآن.. وستموتون لا محالة.. يا صغاري..."

هذه الكلمات، المليئة بالسم، وهذا الفم الذي تعود أن يطلق ما يخيفهم ويربك موقفهم، ويقتل العزيمة فيهم، استطاع تحقيق غايته فعلاً. لأن شهاب صدم تماما، وأخذ يحدق في الفراغ بهزيمة، وأما سومر، فكان قد ضرب على رأسه بيده مهزوماً مفجوعاً. وكذلك حكمت، الذي أخذ يفكر بأن كل ثباته العقلي لن ينفعه الآن، وأن الموت في هذا الموقف أكيد لا يحتمل الشك. لقد تذكر، عند هذه اللحظات العصيبة، ابتسامة أمه الحنون، ومواعظ أبيه المستفزة، ولكن الجميلة، التي كان يكره سماعها، ولكنه في النهاية يشعر بارتياح وحنان أبوي عطوف يتسلل من روح أبيه حنا إليه.

لقد تذكر حكمت.. تلك الأوقات حين كانت أمه تتسلل إلى فراشه في الليل لتتفقده إن كان مكشوفاً حتى تغطيه جيداً، وتقبله، وتقول له نم يا بني يا عزيز.. وحين كانت أخته، قبل رحيلها، تتشاجر معه في مسائل تتعلق بنظرتهما للحب، ونظرتهما للأنثى، ونظرتهما للرجل، ونظرتهما للحياة والفلسفات والعلوم والآداب. تذكر حكمت كل ذلك، مشتاقاً، لأنفاس وروح العائلة.

كذلك كانت الذاكرة عند شهاب وسومر، وأخذ حكمت ينظر إليهما في قهر وأسف على حاله وحالهما، آه لو أنه لم يشارك في اللعبة، ولو أنه حدث أي شيء منعهما من المشاركة. ولكن، ما حدث قد حدث، ولا شيء يمكن تغييره في مجرى الزمن.

رغم هذا اليأس، فقد رأى حكمت أن شهاب لم ييأس، وكذلك سومر، الذي استشاط بفعل جرأة شهاب: لقد تحركا لكي يهجما من جديد على نور، بأعين غاضبة، تتوعد، بانتقام شرس. فدبت العزيمة من جديد في روح حكمت، وقرر ألا ييأس حتى في حالات ما قبل الموت، فعلينا أن نبقى أقوياء حتى النهاية، ولا يليق بنا موت مذلول.

استجمع حكمت قواه، وقرر مشاركة صديقيه في الهجوم على نور. وبالفعل، لقد هجم الثلاثة كثيران هائجة، وكان نور قد استغرب تماما ودهش من عزيمتهم وإصرارهم، بل لقد ظهرت علامات الإعجاب والدهشة والاحترام على وجهه منهم. وكان من الغريب أنه سُرّ بكونهم يملكون هذه العزيمة.

لقد تلقى نور ضربة من شهاب على وجهه، جعلته يبصق الدم، ولكمة في بطنه من سومر، وركلة من حكمت على قدميه جعلته يسقط أرضاً، لأول مرة منذ بدء القتال. لقد شعر بحماس كبير، ورغبة في الهجوم مجدداً، لكنه، كان يعتقد أنهم لن يهجموا أكثر من ذلك، فهذا مجرد انتقام لهم قبل موتهم، فهم يدركون أنهم سيموتون بعد لحظات.

وهنا، كانت قد مرت أكثر من خمسة دقائق، والجميع ينظرون في بعضهم ساكتين. كان شهاب قد وصل إلى حالة مزرية، وكذلك سومر.

نظر نور إلى حكمت، فرآه محطم الآمال خائب العزيمة تماما. فشعر بسعادة وسرور كبيرين، وقد كان نور يشعر بهذه السعادة كلما تمكن من تحقيق غايته في قتل أرواح المشتركين قبل أن يقتل أجسادهم.

لقد كان الأمر في هذه اللحظات، أشبه بالمحسوم. فلم يعتقد نور أن هؤلاء الثلاثة سيفكرون في الهجوم ثانية عليه، وسلم بأنهم هزموا وأنهم اقتنعوا بهزيمتهم. ففقد نور حذره وتثاءب وهو يغمض عينيه. وفي هذه اللحظة: حدث ما لا يمكن توقعه إطلاقاً: لقد تلقى نور في صدره أكثر من عشرة طلقات متتالية، رشاً، من سلاح رشاش.

لقد انبثق دمه من جوفه وظهرت عيناه مصدومتان، غير مدركتان، لكل ما حدث. خلال ثوان معدودة كان جسده مثقوباً بالرصاص من كل جهة. وسط أنظار شهاب

وسومر المدهوشين تماما. بل إنهما لم يدهشا من قبل هذا الإدهاش. نظرا بعد ثانيتين إلى جسد نور، فكان متكوم على نفسه جثة هامدة تسيل منها بركة دماء على الأرض: انقلب السحر على الساحر في أقل من ثوان. ونظرا إلى الجهة المجاورة.. ليجدان حكمت وهو يمسك بسلاحه الرشاش بعزيمة وإصرار، ويوجهه نحو الجثة، والدخان يتصاعد من فوهة سلاحه.

أجل.. لقد قتل حكمت نور.

ونظر إلى صديقيه بابتسامة ملائكية، نظرة نصر. فنظرا إليه وعقليهما غير قادرين على التصديق بعد. فاقترب حكمت منهم وجلس إلى جانبهم وأخذ يشرح لهم ما حدث.

لنحلل معاً ما حدث: لقد اتبع نور استراتيجية الحرب النفسية مذ أن دخل على الكهف الذي يقطن فيه حكمت وصديقيه. فكان نور قد خطط في ذهنه لكل شيء، أولاً أنه يظهر على أنه الشخص الواثق بنفسه والمهيوب ويتلاعب بلغة جسده مظهراً للجميع أنه الأقوى، فالإيحاء مهم، كنقطة، في هذا القتال. وثانياً فقد استخدم أسلوب الهجوم القوي دون أي تفكير، وفي القتالات، عادة ما يفوز الشخص الذي يبدأ بالهجوم أولاً، وكما لاحظنا، قام نور بالهجوم أولاً على حكمت وصديقيه، مخيفاً إياهم زارعاً في عقلهم فكرة أنه أقوى منهم، وإلا ما كان ليهجم بمفرده على ثلاثة دفعة واحدة، وبهذا الشكل يكون قد خدع عقولهم الظاهرة والباطنة، دون أن يستعمل أي

سبيلمنال. بل لنكون صريحين: لقد استعمل سبيلمنال طبيعي. وبعد: فإن نور صار يوجه لكمات كيفما اتفق إلى الجميع، فوقعوا ضحية لمخططه وصدقوا أنه أسطورة لا تقهر، ولكنه في الحقيقة ليس إلا شخصاً عادياً مثله مثل أي شاب منهم، وقد يكون الواحد منهم أقوى منه أيضاً. أما ما تلا ذلك من أحداث: فإن نور خدع الجميع في لحظة حرجة جداً، مستغلاً أنها لحظة خوف وإحباط، فقال لهم أنه وضع سم البوتولينوم في الشوريكين، وهو السم القاتل لا محالة. ولكن، في هذه اللحظة تماما، كان شهاب وسومر مخدوعين تماما ضحية لألاعيبه، وأما حكمت، فقد وزن الأمر في عقله وأدرك بعد دقائق أنه لا يوجد أي أثر لسم البوتولينوم على جسده، فأدرك أن نور يخدعهم، وأنه لا يوجد سم بوتولينوم أصلاً في الشوريكين. هذا جعل حكمت يتبع استراتيجية ذكية جداً: وهي خداع المخادع بخطته نفسها، أي اللعب كما يريد المخادع ويتوقع. ففعل حكمت نفس الأمر، وخدع عقل نور بأنه (هو نفسه حكمت) يشعر بإحباط، وأنه تخلى عن الحياة وأدرك خسارته، ولكن حكمت في داخله كان قوياً يدرك كل شيء عكس ما جعل نور يرى ويشعر. وبهذا التمثيل، استطاع حكمت الحصول على سلاحه الرشاش دون أن يعي نور حتى مجرد الوعي بأن حكمت يسعى إلى ذلك، وبالفعل، انتهى الأمر بانقلاب السحر على الساحر وقتل حكمت لنور، منهياً بذلك قتالاً طاحناً.

هناك ذكي، وهناك أذكى منه.

ختم حكمت شرحه لصديقيه بالقول:

"إن مادة البوتولينوم تظهر تأثيراتها في الحال، حيث يشعر المتسمم بضبابية الرؤية والانهيار العضلي ثم الشلل والموت.. ولكنني لم أشعر بذلك إطلاقاً، ومن المستحيل أن يكون هناك سم في جسدي لأن سم البوتولينوم سريع المفعول جداً وفوري، وهذا جعلني أدرك أن السم غير موجود أصلاً، وما هي إلا حرب نفسية ماكرة"

وحين أنهى حكمت كلماته، ارتمى شهاب وسومر في أحضانه يقبلانه ويصرخان ويضحكان وتسيل من أعينهما الدموع، كأن جبالاً عظيمة انزاحت عن صدريهما.

وكانت الشمس قد أعلنت ساعة الغروب...

19

إن هذه الجزيرة نقمة علينا.. كلما شعرنا بالسرور والسعادة عندما ننجو.. نشعر بالاكتئاب والحزن عندما نقتُل أحداً ما.. إنه كابوس مرعب.. إنها أحاسيس من الموت تعتري أرواحنا وتنقص عمرنا ساعة بساعة... دقيقة بدقيقة.. ثانية بثانية..

هذا هو اليوم الثالث في الأسبوع المميت على جزيرة الموت. لعمري إنني أشعر وكأن اليومين المنصرمين كانا سنوات من الحياة والموت، ونحن نسقط في كل مرة في حجر كبير قد نخرج منه وقد لا نخرج.. قد يبتلعنا غول وقد تلتهمنا ساحرة مريضة.. قد نقتل بعضنا بحروب نفسية.. قد نترصد لأناس لا ذنب لهم ونقتلهم.. قد نبكي على أنفسنا وقد نفرح سعادة لحظية عابرة.. قد نرسم على وجوهنا البسمة برغم أننا نشعر بأعمق من الحزن.. قد نقول في أوجه بعضنا النكات والطرائف ثم نقتله غداً.. بصراحة إنني خائف جداً.. وأكاد أفقد سيطرتي على أعصابي وثباتي العقلي الذي أعتز به من يوم يومي..

إني أفاجأ في كل دقيقة أن شيئاً ما في شخصيتي يتغير، إن هذه الجزيرة لها وقع على حياتي لا يمكن تخيل نتائجه الكارثية في ما بعد، فأخاف أن أصبح قاتلاً لا يشعر بأي تأنيب للضمير حين يقتل ضحيته، أجل، هذا ما أخافه تحديداً: هو التعود، أن نتعود على ما نقوم به من خطأ. أجل يا سيدي أريد أن أجلس أمامك على كرسي الاعتراف

وأتلو عليك صلوات ضميري على نفسه.. وأقول لك، بنبرة شاحبة، أنني أرهقت، وفقط أرهقت، من نفسي، ومن الجزيرة، ومن شهاب، ومن سومر، ومن القتل وحياة القتل والهروب من القتلة، ومن كل شيء..

أريد العودة إلى السلام الداخلي، كحلم منسي نُبذ دون أن يكترث أحد له.. أريد أن أعود إلى بيتي وأجلس على كرسي مكتبي في غرفتي.. وأكتب... وأقرأ.. وألعب ألعاباً غير حقيقة.. غير ملعونة.. غير مليئة برائحة الدماء والجيف..

لقد خرجت صباح هذا اليوم مع سومر وحكمت للتنزه في المنطقة، وكنت أشعر بالغثيان كلما شممت رائحة جثة، وأريد أن أبكي ولا أستطيع، وكانت الدمعة الصامتة تحبس في عيني غير آبهة لي، كأنها لا تريد أن تخرج وتريح قلبي مما هو فيه.

رأيت وشهاب وسومر: أحصنة تعشق بعضها البعض، ونسور تحلق في السماء تترصد أي جيفة لتنقض عليها، وزواحف ضخمة تركض خلفنا فنهرب منها أو نرميها بطلقات الرشاش وكرات اللهب، وكراسي ذهبية تحيط بحدائق قصور من العاج لها أسوار مزخرفة، ومقابر جماعية، وحيوانات ميتة، وطيور مسجونة في أقفاص، تنظر إلينا، بأعينها الحريرية، وتماثيل محنطة، لملوك الجبابرة والفراعنة، وأساور ذهب وخزف وفضة وأحجار عقيق وزبرجد ولآلئ تركت في صناديق مرصعة بالماس الأزرق، كأعجوبة من القارة الأفريقية، وأشجار طويلة تكاد تلامس بأجذعها السماء، متلاصقة، مع الغيوم

بصداقة حميمية، وأنهار قرمزية المياه وأخرى أقحوانية، وتلالاً تكسو الجبال زرقاء اللون، رمادية.

كانت أرجلنا تطأ كل مكان، وأرواحنا تسمع أنين من ماتوا فيه، كأنهم يوصلون رسائلهم الروحية، في تخاطر وكلمات ميتافيزيقية. فكنا نشعر، سوية وصديقاي، بأنين الأرواح، وصراخ القلوب، ووجع الضمائر، في هذه الجزيرة المنسية.

***

(قصر ستيف مانسون في جزيرة مجهولة، تحلق في سمائها النوارس):

لم يشعر ستيف بسعادة ونشوة كما هو يشعر الآن، إنه ينظر إلى الأعلى، ثم إلى الأعلى، ثم إلى الأعلى.. متخيلاً، منتشياً، مشتهياً، ومتذكراً، ومتطلعاً، وحالماً.. بكل ما يسعده من أوقات سادية. كان ستيف يجلس على كرسي مرصع بالذهب، مكسو بأحجار العقيق الأصفر، وهو يضع، على يديه، عشرة خواتم مرصعة بالماس الكلاسيكي. وهو يشعر، بإحساس لا يفنى بالنشوة. إحساس يفوق الخيال والوصف ولا يمكن لكمات صغيرة أن تفيه حقه من المحاكاة.

مع كل شخص مات في جزيرة.. كان يشعر بسعادة.. مع كل روح تعذبت وصعدت إلى السماء.. كان يشعر بسعادة.. مع كل عذاب وأنين وتنمر وكراهية ورغبة في قتل الآخر.. كان ستيف يصعد إلى السماء من شدة غبطته وسعادته.

أمام كرسيه طاولة بيضاء مدورة، عليها أرجل من الفضة، وأمام عينيه، شاشة ضخمة مربوطة بحاسوب الكتروني، تعرض له الشاشة أي جزيرة يريد.. فقط عليه أن يقول اسم الجزيرة لتصله الشاشة بالجزيرة في الحال، وتعرض له، مقسمة نفسها إلى تسع شاشات، الجزيرة كاملة، وتقترب، من أي نزال موت، وتصوره بدقة متناهية، ونظام تتبع وتثبيت بصري، وكاميرا ملاحقة بذكاء اصطناعي. وكانت أغلب الكاميرات موصولة بطيور وصراصير وجداجد، تتحرك في الجزر، وتلقط بأعينها الآلية، وتنقل الصورة الآنية، محققة بذلك نشوة ستيف الكبرى.

كان ستيف قد جمع خلال اليومين المنصرمين، أكثر من ألف تسجيل فيديو منقول من نزالات حقيقية في جزر الموت، ليستلذ بمتابعتها فيما بعد واحداً تلو الآخر. وقد عيّن أناساً آخرين لكي يتلقطوا له تسجيلات لم تتح له الفرصة ليلتقطها، ليحظى بأقصى متعة ممكنة في أكبر عدد من الفيديوهات.

وكان قصره ذو القبب الثلاثة، يتلألأ بزخارفه الهندية، كأنه معبد قديم للهنود. حوله حديقة يحيطها الزان والبلوط والكمثرى والزنجبيل والأكاسيا.

***

حدّقنا في طيور البجع الذي تسرح خلف بعضها كأنها قوارب على صفحة مياه البحيرة.. بينما كنت أنا وسومر وشهاب فوق مرج صغير، وتحت شجرة كستناء، هناك، حيث كتبنا أسماءنا، وكتبنا أحلامنا التي نبتغي تحقيقها إن تمكنا من النجاة من الجزيرة..

كانت خمسة بجعات، وحين نظرت إليهن تمنيت لو أنني بجعة، لا هم لها في الكون إلا الحياة والحب والمشي في البحيرة مع صاحباتها. إنهن جزء من البحيرة والبحيرة جزء منهن.

كتبنا على شجرة الكستناء أحلامنا، ونحن نمسك بأيدينا التي لوثها الدم، حجارة بيضاء، وبأعين نصف مغمضة، خطت يدانا الأحلام على جذع كبير، كان ينظر إلينا كأنه يسخر منا واحداً تلو الآخر.

لقد كتبتُ تحت اسمي:

"كاتب كبير"

وكتب شهاب:

"رسام تشكيلي"

وكتب سومر:

"رجل أعمال مشهور"

ومنذ أن كتبنا أحلامنا، شعرنا أن هذه الشجرة أم لنا، وشعرنا أنها تشفق علينا، رغم محبتها، وطيبة نيتها، وهيبة أغصانها وأوراقها. استليقت وصديقيّ في مثلث حول جذع الشجرة، ووضعنا أعيننا في السماء، وكنا مرهقين، متعبين، لا نبالي، وفقدنا حذرنا، ولم نعد نفكر في شيء، كأن الدماغ حظي بفرصة صغيرة للتنفيس عن نفسه والشعور بالأمان، ولو لقليل من الوقت.

طيري يا أرواحنا وعانقي تلك السماء، طيري بعيدة عن الدماء، وعن رائحة الجيف، ورائحة الموت، وذلك الإحساس الذي يبدأ متضائلاً بالوهن، وينتهي متثاقلاً بالعبء المحمول في صدورنا، وتلك اليراعات التي تحلق وتضيء، كأنها تنسى، كل الظلام في الوجود، وذلك الحلم البعيد المنسي، الذي كمن على صدره غول كبير، فكبته، وطيّور الليل الذي يختبئ في حفرة صغيرة في جذع الشجرة، كأنه ينقّح، بعينيه، أحلامنا، وتلك البجعات الجميلة، التي طارت إحداها وهي تلطم بجناحيها الهواء، كأنها تضرب بيد من حديد، كل إحساس بالكراهية، وتغذي الحب الكامن في النفوس، وتلك السماء، التي تتوعد، بغيومها البيضاء، بمستقبل زاهي الألوان، وذلك المرج الأخضر

على مد النظر، الذي يقول لنا، بروح الطبيعة، أن إحساس الموت لن يزول، ساخراً، ضاحكاً، وأعشابه تتمايل كراقصات الباليه..

وسأتذكر، تلك اليد التي مدت إلي لتنقذني حين كدت أموت على الجزيرة، وتلك اليد التي فارقتني أول اللعبة، والتقيت بها عند الفجر، وتلك الأيادي التي تنتظرني، بشوق لا يخمد، ونيران لا تطفأ..

..تمت..

عن المؤلف

الاسم: المهلب قصي مرهج

الدولة: ولدت في قرية البويتات التابعة لريف جبلة في محافظة اللاذقية السورية عام ١٩٩٧ م

تلقيت تعليمي في مدرسة القرية وثانوية القطيلبية لأدرس في كلية الهندسة الزراعية في جامعة تشرين

والاهتمام الأساسي هو الكتابة فهي العمل الأصلي الذي أشغف به وأحبه وأخلص له بشدة

لدي عدد من الروايات غير المنشورة أهمها:

١- بيسان والكاتب الميت

٢- لينا

٣- طاعون الموت

٤- قاتل الأشباح

٥- دان وعنقاء النوتيك

٦- الشجرة أم الفلاسفة

٧- الأقحوان المتمرد

- وفازت روايتي طاعون الموت بالقائمة القصيرة للرواية العربية في مسابقة دار ببلومانيا للنشر والتوزيع ٢٠١٩

أعمال منشورة سابقًا:

لا يوجد.

دار
قصص وحكايات
للنشر
الإلكتروني